الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة -

كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية

المقاومات الوطنية المسلحة بين عوامل القوة و الانتشار و مسببات الضعف و الانكسار

مقاومتي الأمير عبد القادر و أحمد باي (1830-1848 م)

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في **تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية**

من إعداد الطالبة: **قندوز وفاء**

لجنة المناقشة		
الاسم و اللقب	**الصفة**	**الجامعة**
د. العياشي بلقاسم	رئيسا	جامعة سكيكدة
د. بورمضان عبد القادر	مشرفا و مقررا	جامعة سكيكدة
أ. يحوي علاء الدين	مناقشا	جامعة سكيكدة

السنة الجامعية: 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحمده و أستعينه على ما رزقني به من نعمة و على من أعانني على إنجاز هذا البحث أتقدم بكل عبارات الشكر و التقدير و الاحترام و الامتنان إلى أستاذي الفاضل بورمضان عبد القادر، الذي قام بتأطيري لإنجاز هذا العمل المتواضع و اعترافا بكل ما قدمه لي من توجيهات و نصائح كان خير محفز جازاه الله كل خير.

كما يسعدني أن أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم لمناقشة هذه المذكرة، كما أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذة بويدة على مرافقتها لي أثناء فترة تربصي في ثانوية قوري يونس-سيدي عمار ولاية عنابة. و في الأخير أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد و جزاهم الله كل خير.

الإهـــــــــــداء

الحمد لله و كفى و الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفا أما بعد:

نحمد الله الذي وفقنا في تثمين ثمرة الجهد والكفاح في مسيرتنا الدراسية بفضله تعالى نهديها الى :

- ♣ من وضع سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها **أمي** الحبيبة، أدامها الله تاجا فوق رأسي.
- ♣ روح **أبي** الطاهرة الذي وافته المنية منذ أشهر ، فاللهم وسع قبر أبي بنعيم لا يفنى
- ♣ أخواتي من كان لهن بالغ الأثر في تذليل كثير من العقبات والصعاب.
- ♣ نور عيوني أبناء وبنات أخواتي: سلسبيل، لمار، أشرف خليل، سيدرا، يعقوب، عبد النور بهجة البيت وفرحته.
- ♣ زوجا أختاي اللذان كانا لي بمثابة الأخوين ، سندي وركائز نجاحي

وأخيرا أمتن لكل من كان له الفضل في مسيرتي ومساعدتي ولو باليسير.

وفـــــــــاء

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
م	ميلادي
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
تق	تقديم
تع	تعريب
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ع	عدد
د س	دون سنة
ط خ	طبعة خاصة
د د ن	دون دار نشر
p	page

المقدمة

1- التعريف بالموضوع و أهميته

إن أطماع فرنسا لاحتلال الجزائر امتدت منذ عهد نابليون بونارت، و لهذا استعملت حادثة المروحة كذريعة لتجسيد مشروعها الاستيطاني في الجزائر، حيث جهزت لهذه الحملة قوة عسكرية ضخمة كان مركز انطلاقها ميناء طولون بفرنسا، و بعد وصول هذه الحملة إلى ميناء سيدي فرج يوم 14 جوان 1830م، اصطدمت القوات الفرنسية بمقاومة جيش الإيالة الجزائرية إذ تعرض هذا الأخير إلى الانهزام بسبب عدم التخطيط الجيد والتنظيم المحكم من جهة، و نتيجة لتفوق القوات الفرنسية عدة و عتادا.

و أمام تلك الأحداث و التطورات استطاعت القوات الفرنسية الدخول إلى الجزائر و إخضاع الداي حسين لتوقيع معاهدة الاستسلام مع قائد الحملة الفرنسية ديبورمون يوم 05 جويلية 1830م، هذا التوقيع الذي أعطى للسلطات الفرنسية أحقيتهم و ملكيتهم للبلاد كمحتلين، و منذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر تعيش حالة من الفوضى والاضطراب السياسي و الانهيار الاقتصادي و التفكك الاستعماري، و النهب الاستعماري. لم يكن التوغل الفرنسي في الأراضي الجزائرية بالأمر الهين كما توقعه القادة الفرنسيين. بل اصطدم بعدة مقاومات و ثورات شعبية عديدة تحت قيادة زعماء و قادة مختلفين أمثال الأمير عبد القادر الذي لواء الجهاد في الغرب الجزائري و أحمد باي الذي قاوم العدو في الشرق الجزائري.

حققت هاتين المقاومتين في بداياتهما انتصارات عديدة نتيجة لعدة عوامل أهمهما الشخصية القوية لكلا القائدين و التنظيم العسكري لكل مقاومة، فبالرغم من سلسلة الانتصارات لكل مقاومة إلا أنهما لم تنجحا في وقف الزحف الاستعماري أو دحره خارج البلاد و يعود ذلك بالدرجة الأولى لنقص الإمكانيات من جهة و كثرة الخيانات و الدسائس في صفوف كل مقاومة و هذا نتيجة للسياسة المتبعة من قبل القوات

الفرنسية، كما أن عدم التنسيق و غياب الانسجام بين قائدي المقاومتين لعب دورا هاما فيما الت إليه نهاية كل مقاومة.

تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في معرفة مدى نجاح هاتين المقاومتين في الحد من زحف القوات الفرنسية نحو باقي مناق ربوع الوطن، و انعكاسات فشلهما و ضعفهما على استمرار الكفاح المسلح ضد القوات الفرنسية، كذلك يمثل هذا الموضوع جانبا مهما من التاريخ العام للجزائر و الذي يبقى بحاجة إلة الكثير من الدراسات المعمقة لتسليط الضوء عليه و إعطائه حقه.

2- دوافع اختيار الموضوع

تنوعت الدوافع التي جعلتنا ندرس هذا الموضوع بين أسباب ذاتية و أخرى موضوعية.

أولا: الأسباب الذاتية:

الرغبة في البحث و معرفة تاريخ المقاومة الجزائرية

ميول شخصي لدراسة شخصيتا الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي و مقاومهتهما في الغرب و الشرق الجزائري.

السعي لإظهار الحقائق التاريخية التي يشوبها الغموض.

الأسباب الموضوعية:

إبراز دور أحمد باي في المقاومة الجزائرية لاعتباره من الشخصيات الكرغلية المشبعة بروح الوطنية والذي ضحى بالنفس و النفيس في سبيل الوطن.

معرفة مدى نجاح طرفي المقاومة في مواجهة العدو

محاولة معرفة الأسباب و الظروف التي حالت دون انضواء المقاومتين تحت راية واحدة

3- أهداف الدراسة

- تسليط الضوء على عوامل القوة لكل من مقاومتي الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي و التي أدت إلى استمرارهما لأكثر من ثمانية عشرة سنة.
- محاولة معرفة الأسباب و العوامل التي أدت إلى إضعاف هاتين المقاومتين.

4- الدراسات السابقة

حظيت المقاومات الشعبية ضد المستعمر الفرنسي بالكثير من الدراسات التاريخية المعمقة نذكر منها على سبيل المثال دراسة لسامية أبو عمران تحت عنوان:" الأمير عبد القادر رمز المقاومة العسكرية الجزائرية، كذلك دراسة لمياء شربال بعنوان:" الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الحديثة، حياته و إنجازاته وسكه للعملة الوطنية" من خلال هاتين الدراستين استطعنا أن نبين مدى تأثير كل من التنظيم الإداري و التنظيم العسكري كعاملي قوة لمقاومة الأمير عبد القادر. و اعتمدنا أيضا على دراسة سلاماتي عبد القادر تحت عنوان:" الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية من 1830م-1847م"، من خلال هاته الدراسة استطعنا التعرف على الأساليب القمعية و السياسات الاستعمارية المتبعة من طرف القوات الفرنسية لإضعاف مقاومة الأمير عبد القادر، كسياسة الأرض المحروقة و سياسة فرق تسد، واللتان تعتبران من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف و تراجع مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري.

أما فيما يخص مقاومة الحاج أحمد باي في بايلك الشرق، اعتمدنا على مذكرة ماجستير لبوعزة بوضرساية تحت عنوان:" الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاوم 1832-1847 " حيث ركز هذا الأخير في دراسته على حياة الحاج أحمد باي و إنجازاته و مقاومته و قد ساعدتنا هاته الدراسة في إظهار عوامل القوة التي ساعدت على استمرار مقاومة الحاج أحمد باي لأكثر من عقد من الزمن. و اعتمدنا أيضا

علـى دراسـة كـل مـن بورمضـان عبـد القـادر بعنـوان:" احـتلال الفرنسـي لمدينـة عنابـة1830م-1832م"، و محمـد ميلـودي تحـت عنـوان:" المقاومـة الجزائريـة و الدولـة العثمانيـة 1830م-1848م سـاعدتنا هـاتين الدراسـتين فـي إظهـار سـقوط الولايات الشمالية و تخاذل الباب العالي في ارسال المساعدات لدعم مقاومة أحمد باي أدى إلى سقوط عاصمة البايلك بيد القوات الفرنسية مما سرّع في نهاية عمر هاته المقاومة.

5- الإطار الزماني و حدود الدراسة

يمتد الإطار الزماني لهذه الدراسة من 1830م إلى غاية 1848م في كل من منطقة الغرب الجزائري و بايلك قسنطينة في الشرق الجزائري و ذلك محاولة منا للإحاطة بجميع الجوانب لكل مقاومة.

6- طرح الإشكال

تتمثل إشكالية موضوع البحث فيما يلي:

ماهي عوامل القوة و الضعف لكل من مقاومتي الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي؟

و تندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية و هي:

ما تأثير كل مقاومة على الأخرى و ما هي طبيعة العلاقة بين قائديهما؟

إلى أي مدى ساهمت هاتين المقاومتين في تعطيل زحف الاحتلال في الشرق و الغرب؟

7- منهج الدراسة

للإجابة عن هاته التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي كمنهج رئيسي و الذي يتناسب مع هذه المواضيع

8- المصادر و المراجع

لقد تنوعت المصادر و المراجع في إنجاز هذه الدراسة متضمنة كتب باللغة العربية و الفرنسية و غيرها، أهمها: كتاب شارل هنري شرشل بعنوان حياة الأمير عبد القادر و كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر لمحمد عبد القادر الجزائري الذين تناولا تعريف شخصية الأمير عبد القادر و كتاب رسائل الماريشال سانت أرنو الذي بيّن لنا العديد من جوانب مقاومة الأمير عبد القادر من وجهة نظر الكاتب.

كما اعتمدنا أيضا على العديد من المراجع أهمها كتاب التاريخ العسكري و الإداري لأديب حرب و الذي فصل في التنظيم العسكري و الإداري لإمارة الأمير عبد القادر أما فيما يخص جانب مقاومة الحاج أحمد باي فقد اعتمدنا على كل من مذكرات أحمد الشريف الزهار و كتاب أحمد باي بعنوان مذكرات أحمد باي كمصدرين أساسيين للتعريف بشخصية أحمد باي بدقة، بالإضافة إلىكتاب الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1828-1848م) للكاتب بوعزة بوضرساية و كتاب محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال كمرجعين أساسيين لمختلف حملات مقاومة أحمد باي.

9-الخطة المعتمدة

في طرحنا لهذا الموضوع اتبعنا الخطة التالية و هذا حسب ما تقتضيه خطوات البحث، انطلاقا من مقدمة و فصل تمهيدي تحت عنوان الحملة الفرنسية على الجزائر و يتألف من ثلاث مباحث: المبحث الأول تحت عنوان أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر والمبحث الثاني بعنوان انطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر أما المبحث الثالث الذي يتطرق إلى نتائجها.

الفصل الأول عنوناه بحياة الأمير عبد القادر و يتكون بدوره إلى ثلاث مباحث تطرقنا في المبحث الأول إلى التعريف بشخصية الأمير عبد القادر، و إلى نشأته العلمية في المبحث الثاني و بيعته في المبحث الثالث.

الفصل الثاني كان بعنوان حياة الحاج أحمد باي، مقسم إلى ثلاث مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن مولده و نشأته ثم صفاته في المبحث الثاني و اهتم المبحث الثالث بتوليه حكم بايلك الشرق

الفصل الثالث تحت عنوان عوامل القوة و الضعف لمقاومة الأمير عبد القادر قسمناه إلى ثلاث مباحث. المبحث الأول تحدثنا فيه عن عوامل القوة لمقاومة الأمير عبد القادر و المبحث الثاني عوامل الضعف و التقهقر أما المبحث الثالث فقد خصصناه للاستشهاد ببعض الآراء حول مقاومة الأمير عبد القادر.

أما في الفصل الرابع و الأخير تناولنا كل من عوامل القوة و عوامل الضعف لمقاومة الحاج أحمد باي كمبحثين منفصلين.

10-صعوبات البحث

تكمن الصعوبات و العراقيل التي واجهتنا خلال إنجاز هذا العمل في النقاط التالية:

- كثرة المادة العلمية المتشابهة من حيث اللفظ و المضمون و هذا ما صعب علينا اختيار الموضوع.
- صعوبة ترجمة بعض المراجع و المصادر من الفرنسية إلى العربية.
- قلة و شح المصادر المتعلقة بمقاومة أحمد باي.

الفصل التمهيدي:
الحملة الفرنسية على الجزائر

تتمتع الجزائر بالعديد من الخيرات و الثروات الطبيعية بفضل موقعها الاستراتيجي، و هذا ما جعلها عرضة لأطماع العديد من الدول الأجنبية و خاصة الأوروبية منها. حيث تسابقت هذه الأخيرة فيما بينها من أجل الظفر بامتيازات خاصة في الجزائر إلى غاية نجاح فرنسا في احتلالها سنة 1830م بعد قيامها بحملة عسكرية ، و هذا بعد تذرعها بعدة أسباب و التي سوف نتطرق إليها في هذا الفصل مع النتائج التي نجمت عن هذه الحملة.

المبحـــث الأول: أسباب الاحتلال الفرنسي

1- الأسباب السياسية

في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت المستعمرات الفرنسية محصورة في العديد من مناطق العالم بعد طردها من الهند وكندا فقد توالتها العديد من الهزائم في أوروبا جعلت من فرنسا تتطلع إلى آفاق جديدة من أجل استعادة مكانتها وذلك باحتلالها لدول أضعف منها قوة خاصة بعد استحواذ بريطانيا العظمى على الهند[1].

كذلك رغبة فرنسا في احتلال الجزائر لكي تتخذها قاعدة للسيطرة على أجزاء من القارة السوداء واستغلال مواردها الطبيعية الهائلة.

إن انهيار حكومة الرياس في الجزائر التابعة للإمبراطورية العثمانية أدت إلى تهيؤ الدول الأوروبية للاستيلاء على الأراضي التابعة لها. خاصة أن الفرنسيين كانوا يعتقدون أنهم سيتحصلون على قسمة تقدر ب 150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي.

كما أن شارل العاشر ملك فرنسا كان يرغب في خلق تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر و التمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية المنهارة، ثم إن

[1] أحمد اسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا- تونس-الجزائر- المغرب-موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت، 2000، ص133.

المعارضة التي سيطرة على مجلس النواب في انتخابات نوفمبر 1827 م، خلقت مصاعب داخلية للملك الذي كان يعتقد أن الحل الوحيد لإسكات المعارضين هو إحراز انتصار باهر على داي الجزائر، فإن لم يتمكن من ذلك فإن المعارضة ستحرز انتصارا آخرا في الإنتخابات البرلمانية[1].

2- الأسباب الاقتصادية

كانت فرنسا تطمع في خيرات الجزائر و ثرواتها الطبيعية الوافرة، و تطمح لتسويق منتجاتها في الأسواق الجزائرية ، كما كانت ترغب في التخلص من الديون الجزائرية التي عليها، و تتمثل هذه الديون في قيمة كميات القمح الوفيرة التي استوردتها فرنسا منها، و سبق تأجيل السداد بمساعدة بعض التجار اليهود في الجزائر، و كشف القنصل التجاري الفرنسي عن هذه الدوافع الاقتصادية في رسالته التي بعث بها إلى حكومته في باريس قبيل غزو الجزائر زيادة عن ذلك ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزينة الجزائرية، في ظل كل هذه الأسباب و الدوافع كان الغزو على الجزائر أجدى و أنفع لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت به إلى حد الآن . فهناك السهول الخصبة و المناجم الغنية بالحديد و الرصاص والجبال التي تزخر بالعناصر المعدنية (مثل الفوسفات و الكبريت) كلها تنتظر الاستغلال الأمثل[2].

كل هذه الأسباب أدت إلى تعاون الرأسماليين مع رجال الجيش الفرنسي من أجل دفع الحكومة و الدولة الفرنسية إلى احتلال الجزائر و الاستيلاء على الأراضي الخصبة و التنقيب على الذهب في المناجم الجزائرية. و كاستجابة إلى هذا المخطط فقد قام الجنرال كلوزال في بداية الاحتلال بإصدار قانون يقتضي بتسليم الأراضي الجزائرية الخصبة

[1] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية1962 ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص83 .
[2] حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث، الشركة العربية المتحدة، ص 221.

للمهاجرين الفرنسيين. فقد برزت قوة التجار و النواب الفرنسيين في تكوين كتلة برلمانية قوية للدفاع عن ممتلكات الأوروبيين و طرد كل من يحاول مراقبتهم أو الحد من سيطرتهم[1].

3- الأسباب الدينية

لقد كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر عام 1830م ، وتجلى ذلك في رغبة فرنسا في نشر المسيحية في إفريقيا انطلاقا من الجزائر. من الأسباب التي دفعت فرنسا لاحتلال الجزائر هو دعوتها إلى إنقاذ المسيحية و المسيحيين من أيادي القراصنة الجزائريين و القضاء على عش القرصنة ألا و هي الجزائر، فباحتلالها للجزائر ترى فرنسا نفسها قد أسدت خدمة كبيرة للعالم المسيحي، و لقد كان لرجال الدين دورا كبيرا في هذه الحملة ضد الجزائر، فقد كان قرار الملك شارل العاشر مدعوما من الأسقف الكبير ووزير الشؤون الدينية[2].

كانت فرنسا في بداية القرن التاسع عشر ميلادي من أخطر الدول الأوروبية تعصبا للديانة المسيحية، فقد نصّبت نفسها حامية للكنيسة الكاثوليكية ، و اعتبرت أن تنظيم حملة ضد الجزائر هو في حقيقة الأمر انتصار للمسيحية على الإسلام[3].

---

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 274.

[2] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830م-1871م)، مطبعة الجزائر، 2013، ص 17.

[3] عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 49.

4- الأسباب العسكرية

إن انهزام الجيش الفرنسي في أوروبا و فشله في احتلال مصر و الانسحاب منها تحت ضربات القوات الانجليزية عام 1807م، دفع بنابليون بونابرت إلى توجيه ضباطه نحو الجزائر، و ذلك بعد وضعه خطة عسكرية و هذا من أجل إقامة قاعدة عسكرية في شمال إفريقيا تمتد من المغرب الأقصى إلى مصر مثلما عملت روما في الماضي، و في سنة 1809م قام الضابط العسكري بوتان بتسليم المخطط العسكري إلى نابليون و اقترح عليه أن يحتل مدينة الجزائر من البّر، ثم التوسع لاحتلال باقي الأراضي الجزائرية، و لكن انهزام نابليون في معركة واترلو سنة 1815م، أدى إلى تحالف الدول الأوروبية الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا. و في خضم هذه الأحداث شعر الملك الفرنسي بأفضلية الاعتماد على سياسة التوسع في إفريقيا، و هذا من أجل منع حدوث انقلاب ضد فرنسا[1].

تزامنت هذه الأحداث مع تحطم الأسطول الجزائري من طرف الحلف المقدس الأوروبي في 27 أوت 1816م بزعامة بريطانيا، و ما تبقى منه تحطم في معركة نافارين 1827م. فقد شاركت الجزائر في هذه المعركة بـ 16 سفينة حربية معظمها تحطم و أصيب بأضرار بليغة[2].

5- مسألة الديون الجزائرية على فرنسا

تعود بدايات هذه القضية إلى التاجرين اليهوديّين اللّذان لعبا دوراً كبيراً في هذه المسألة، و هما ميشيل كوهين بكري و المعروف باسمه المستعرب ابن زاهوت و صهره نافتالي بوشناق و المعروف باسمه المستعرب بوجناح، و قصة تدخّل هذين اليهوديّين في العلاقات بين

[1] عبدالرحمن بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج3، بيروت، دار الثقافة، 1983، ص 353.

[2] علي تابليت، تاريخ أسطورة المروحة و الاحتلال 29 أفريل 1827م، مجلة الذاكرة، العدد 1، الجزائر، 1994، ص 105

فرنسا و الجزائر تشكل جزءا أساسيّا في تطور العلاقات بين البلدين التي بدأت بالحصار ثم الحملة وانتهت باحتلال الجزائر.

كان ابن زاهوت صاحب تجارة متواضعة في أوروبا و بحلول سنة 1770م افتتح مركزا تجاريا له في مدينة الجزائر، و كان هذا المركز متواضعا في بداياته لكن سرعان ما ازدهر عند انضمام كل من الإخوة الثلاثة لبكري و ابنه داود و صهره بوشناق إلى هذه الشراكة.أما عائلة بوشناق الملقّب ببوجناح فقد حلّت بمدينة الجزائر سنة 1723م و كانت بداياته أيضا متواضعة ، و يعود سبب ثرائه بعدئذ حسب القصة التي ترويها كتب المؤرخين والتي تتمثل في خشية باي التّيطري مصطفى الوزناجي بن سلمان 1775-1794م من غضب الباشا عليه أثناء إحدى زياراته العادية إلى الجزائر و التي يقوم بها كل ثلاث سنوات ، فقد اعتزل الناس و لم يجرؤ على رؤيتهم. و عندما ضاقت به السّبل قام بوجناح بمد يد العون له وذلك بإعطائه المال والتشجيع لإغداق الباشا بالهدايا من أجل الظفر بالجاه والنفوذ و كل هذا كان نتيجة للتعفن و الفساد الشائع أيام الحكم العثماني.وصادف أن عيّن الوزناجي بعد ذلك بايا على قسنطينة ، فاعترف هذا الأخير بالجميل لبوجناح ، و منذ ذلك الحين أصبح هذا الأخير رجل أعماله و محل ثقته و هذا ما جعله صاحب نفوذ قوي لدى الباي، مما أدى إلى ازدهار تجارته أيضا.

و ما ساعد على ازدهار تجارته و تضاعف ثروته هو رغبة الباي في تقديم هدية ثمينة إلى زوجة الباشا فطلب من بوجناح أن يأتيه بحليّة كريمة تعرف محليا بالصريمة، واشتراها منه الباي بقيمة 300000 فرنك في حين لم تكلفه هذه الحليّة المشتراة من باريس سوى 30000 فرنك. قايض الباي ثمن الحليّة بالقمح(كيلة قمح مقابل أربع فرنكات) و ذلك لعدم امتلاكه هذا المبلغ نقدا.

و هكذا تحصل بوجناح على 75000 كيلة من القمح، و قام ببيعه في فرنسا و ربح منه 3450000 فرنك. و تحت حماية بعض الباشاوات مثل حسن باشا و مصطفى باشا أصبح

كل من ابن زاهوت و بوجناح صاحبا نفوذ قوي، ممّا سمح لهما بالتّدخل في الشؤون الداخلية للدولة، فقد اهتم ابن زاهوت بالنشاط التجاري، و اهتم بوجناح بالشؤون السياسية للدولة فقد كان يتدخل حتى في تعيين و إقالة الموظفين والبايات، و حتى الباشاوات، لدرجة تلقيبه "ملك الجزائر"[1].

[1]أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 23.

المبحث الثاني: انطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر

تعود فكرة الحصار البحري الفرنسي للساحل الجزائري إلى 16 جوان 1827م، وهذا بعد رفض الداي حسين إعطاء ترضية للأسطول الفرنسي الراسي أمام مدينة الجزائر، و كانت فرنسا قد نصّبت نفسها صاحبة الامتيازات الخاصة بالإيّالة الجزائرية. و قد اعتمدت في فرض شروط الترضية مبدأ القوة العسكرية و أسلوب التهديد العسكري[1].

فقد تقدم الأميرال كوليت (كولي) برسالة إلى الداي حسين، تضمنت مايلي:

- ❖ أن يذهب الداي بنفسه إلى مقر القنصلية الفرنسية ويقدم اعتذارا رسميا للقنصل الفرنسي.
- ❖ أن يرسل وفدا رسميا برئاسة وزير البحرية المعروف بوكيل الخرج إلى الأسطول الفرنسي ليعتذر باسم الباشا.
- ❖ أن يرفرف العلم الفرنسي في جميع القلاع الجزائرية وتطلق مئة طلقة مدفع تحية له[2].

ولقد حدد أجل قبول الترضية بأربع و عشرون ساعة فقط (24 سا)، فإذا رفض الداي الرضوخ لهذه المطالب يتم شن الهجوم الفرنسي على الجزائر[3].

وبالفعل رفض الداي هذه الشروط و المطالب واعتبرها إهانة له، و ظن أن الحصار مجرد عملية للضغط عليه فقط و لم يأخذ كل هذه التهديدات على محمل الجد[4]. وعلى صعيد الجانب الفرنسي، قررت فرنسا قطع علاقاتها مع الجزائر و البدأ بالاستعدادات للهجوم العسكري. وكرد فعل على هذه الاستعدادات الفرنسية قام الداي حسين بجملة من التدابير و

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، سوريا،1981،ص 64.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص24.

[3] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الإيالة (1815-1830)، دار الهدى الجزائر، 2007، ص 81.

[4] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 61.

الترتيبات، فقد أمر باي قسنطينة الحاج أحمد باي بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية الواقعة في عنابة و القالة[1].

و في يوم 30 جانفي 1830م قامت الحكومة الفرنسية برئاسة بولينياك و الملك شارل العاشر بالمصادقة على مشروع الحملة و أصدر مرسوما ملكيا بتعيين الجنرال ديبورمون قائدا لهذه الحملة و الأميرال دوبيري قائدا للأسطول[2].

غادر الأسطول الفرنسي ميناء طولون بقيادة وزير الحرب ديبورمون يوم 25 ماي 1830 م. متجها إلى الجزائر وتألف هذا الجيش من 3700 جندي و 1700 بحار و 103 سفينة حربية، بالإضافة إلى عدد كبير من السفن التجارية المستأجرة من أجل حمل الجنود و المؤن.

وصلت الحملة إلى المياه الإقليمية للجزائر العاصمة في 14 جوان 1830م، و نزلت بشبه جزيرة سيدي فرج غرب العاصمة على بعد 28 كم وفق خطة المهندس بوتان[3].

لقد رافقت هذه الحملة مجموعة من العلماء و الرسامين و رجال الدين و المترجمين و فريق من الأطباء و الصيادلة ، كما تم جلب آلة طباعة من أجل إعداد جريدة ونشرها في الجزائر خاصة و إفريقيا عامة[4].

و بعد نزول القائد العام الفرنسي ديبورمون بشاطيء سيدي فرج جعل منه قاعدة عسكرية للقوات الفرنسية وهذا بعد الاستيلاء عليها – مدينة سيدي فرج– و اتخاذ زاوية المرابط مقرا لقيادته[5].

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 82.
[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 33.
[3] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر(1830-1925)، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2010، ص12.
[4] أحمد مسعودي، الحملة الفرنسية على الجزائر و المواقف الدولية منها (1792-1830) مذكرة ماجستير في التاريخ الحدي و المعاصر ، جامعة الجزائر، 2010، ص 46.
[5] أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 35.

لم تكن الاستعدادات و التحضيرات من الجانب الجزائري لصد هذه الحملة العسكرية ترتقي إلى المستوى المطلوب، رغم علمهم بتفاصيلها من طرف جواسيسهم بمدة كافية، فقد قام الداي بتحصين الواجهة البحرية الممتدة من سيدي فرج إلى تمنفوست، و ترميم القلاع والحصون المهدمة التي شيّدها الإسبان وكانت هذه الأخيرة لا تحتوي إلا على اثنى عشر مدفعا (12).

يمكن تفسير هذا التهاون و التقاعس لاتخاذ التدابير و الاحتياطات اللازمة لصد هذه الحملة بالرغم من علم الداي حسين بتفاصيلها قبل وقوعها،هو اعتقاد الداي أن الحملة لن تتعدى كونها ضربات بحرية كسابقاتها من الحملات الأوروبية هذا من جهة ومن جهة أخرى كثرة الرسل والبعثات من طرف السلطات الفرنسية التي جاءت طالبة التفاوض منذ إعلان الحصار كأسلوب مراوغ أوهمت الداي بأن الفرنسيين لن يتخلوا عن فكرة التفاوض[1].

و لما وصلت أخبار نزول الجيش الفرنسي في سيدي فرج إلى الداي حسين، أمر هذا الأخير بإطلاق المدافع إنذارا بالخطر و طلب من قواته أن تعسكر في قرية سطاوالي استعدادا للمقاومة، معتقدا أن القضاء على القوات الفرنسية سيكون سهلا[2].

أرسل الداي حسين طلبات الاستغاثة داخل البلاد داعيا إلى الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، وقد استجاب لندائه الرسميون و الأهالي على حد سواء. فوعده الحاج أحمد باي قسنطينة بـ 30000 محارب ووعده حسن باي وهران بـ 6000 محارب بقيادة الخليفة، و ذلك لكبر سن الباي، ووعده مصطفى بومزراق باي التيطري بـ 20000 محارب، و جمع شيوخ جرجرة بين 16 ألف و18 ألف محارب، وجمع أهالي ميزاب حوالي 4000 محارب. و أمر باي وهران بتحصين الميناء كما أمر باي قسنطينة بتحصين كل من عنابة والقالة. و أسند قيادة

[1] حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، تق. تح. محمد العربي الزبيري،منشورات ANEP ، الجزائر، 2005، ص 153.

[2] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986، ص 145.

الجيش إلى صهره إبراهيم أغا، هذا الأخير لن يكن قائدا كفؤا و لم يجد التكتيك العسكري على عكس سابقه يحي أغا[1].

و في 19 جوان 1830م انطلاقا من معسكر سطاوالي أعلن إبراهيم أغا الهجوم على الفرنسيين. فتجمعت حوالي 1800 من قوات الجيش استعدادا لمواجهة الاحتلال الفرنسي، لكن هذا الهجوم فشل و استولى الفرنسيون على معسكر سطاوالي. و على إثر الهزيمة قام الداي حسين بعزل إبراهيم أغا و تعيين مكانه باي التيطري مصطفى بومزراق، اعتمد هذا الأخير أساليب تكتيكية جديدة حيث قام بتوزيع الجيش على شكل مجموعات صغيرة من المقاتلين على طول الطريق بين اسطاوالي ومدينة الجزائر و اختار لهم مواقع استراتيجية[2].

بعد هزيمة اسطاوالي اجتمع الداي بالبايات و اتفقوا على تعمير و تجهيز برج مولاي حسن "قلعة الإمبراطور" و أرسلوا الشريف الزهّار لجرد ما فيه حيث لم يجد هذا الأخير سوى 10 مدافع صغيرة و قنطارين من البارود و من جهة أخرى اتفقوا على تجهيز الجيش و الخروج للقتال[3].

في نهاية شهر جوان لم يبق من وسائل المقاومة الجزائرية إلا حصن مولاي حسن في جنوب الجزائر و تحصينات القصبة باعتبارهما آخر قلعتين يمكن الاعتماد عليهما في مجابهة القوات الفرنسية و منعهم من إسقاط حكومة الداي حسين.

كانت القوات الجزائرية تتواجد في وضعية صعبة فقد كانت بدون جيش منظم،كما كانت تعاني من نقص في الذخيرة، و نقص في المؤونة للجيش و للخيول. وما زاد الطين بلة تعيين الداي حسين للخزناجي الذي هو بمثابة وزير المالية قائدا للدفاع عن قلعة مولاي حسن. كان الخزناجي يتآمر على الداي حسين ويطمح للاستيلاء على الحكم و ذلك بتقربه

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 39.
[2] عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر. لحسن زغدار، الجزائر، 2008، ص196.
[3] أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754-1830م، تح.، أحمد توفيق المدني، د، ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 175.

من الانكشارية، و في طريقه لتحقيق طموحاته وضع مشروعا للتفاوض يهدف إلى إبرام الصلح مع الفرنسيين وفق شروطهم. لم يكن الخزناجي يهتم فعلا بتحصين قلعة مولاي حسن ولا يذود في الدفاع عنها بل كان لا يبالي بترك أبوابها مفتوحة أمام قوات العدو، أما الذين كانوا معه فكانوا مستعدين للفرار في أي لحظة.

و بعد استيلاء الفرنسيين على قلعة مولاي حسن نصبوا عليها مدافعهم في اتجاه باب عزون رأس تنورة التي سقطت هي الأخرى في أيديهم، فأصبح الطريق أمامهم سهلا لاحتلال المدينة و لم يبق إلا بعض المدافع الصغيرة على أسوار القصبة و هي غير كافية لإيقاف زحف القوات الفرنسية[1].

أما من جهة الجانب الجزائري فبعد استيلاء ديبورمون على قلعة مولاي حسن، اجتمع الداي بأمناء الطوائف و أعيان المدينة و رجال القانون و الدين شارحا لهم الوضع الذي آلت إليه البلاد و طالبا منهم النصيحة لمواجهة الموقف. و قد وضع أمامهم السؤال التالي:" هل تعتدون أنه من الصواب مواصلة القتال و المقاومة ضد القوات الفرنسية أو يجب تسليم المدينة لهم و توقيع معاهدة الاستسلام". بعد هذا السؤال وجد الحاضرون أنفسهم في حرج، فهل ينصحونه بالاستسلام بينما يكون رأيه هو المقاومة وبعد تمحيص في الموضوع كان جوابهم مبهما و كان يقتضي باستعدادهم لمواصلة الحرب إلا إذا كان رأيه غير ذلك فهم يطيعون أوامره[2].

في ليلة 2 يوليو 1830م اجتمع عدد من أعيان المدينة في قلعة باب بحرية ليتباحثوا ما ألت إليه الأمور، و قرروا أن ضياع المدينة أمر محتوم لا رجعة فيه، و عليه قرروا عدم مقاومة القوات الفرنسية عند دخول المدينة و تأييد اقتراح الداي الثاني و الذي ينص على الرضوخ بعد توقيع معاهدة الاستسلام. و ذلك لاعتقادهم أن الفرنسيين سيتركون الجزائريين

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق ، ص 167.
[2] أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 44.

يمارسون تقاليدهم و طقوسهم الدينية بكل أريحية و أن فرنسا قدمت إلى الجزائر من أجل نقل الحضارة لا من أجل الاستعمار.

بعد هذا الاجتماع أرسلوا وفدا عنهم إلى القصبة لمقابلة الداي حسين و إبلاغه على ما اتفقوا عليه، و كانت إجابة الداي بأنه سينظر في الأمر في اليوم الموالي.

و في يوم 04 يوليو 1830م أرسل الداي حسين كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الإنجليزي إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع ديبورمون و كان بصحبة الوفد المذكور كل من أحمد بوضربة و حسن بن حمدان بن عثمان بن خوجة كمترجمين. و كان الداي يجهل اضطلاع كاتبه في المؤامرة التي يتزعمها و يحيكها الخزناجي للإطاحة بنظام حكمه. فقد كان الكاتب مصطفى يفاوض ديبورمون باسم الخزناجي لا باسم الداي، واعدا **ديبورمون** بإحضار رأس الداي حسين كعربون وفاء، وأنه مستعد للتفاهم مع فرنسا وفق شروطها. غير أن إجابة ديبورمون كانت مخالفة حسب الرواية الفرنسية فقد أعرب عن عدم استعداده للتعامل أو مساعدة المتآمرين و ذلك لأنه جاء من أجل الحرب. و من جهة أخرى وافق ديبورمون على اقتراح الداي حسين بالاستسلام[1].

و في يوم 5 جويلية 1830 م وقعت معاهدة الاستسلام من طرف الداي حسين، حيث تعهد فيها هذا الأخير بتسليم جميع حصون المدينة و الميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة صباحا، مقابل تعهد القائد العام للجيش الفرنسي بضمان الحرية الشخصية للداي و مساعدته على التنقل رفقة أسرته للعيش في المكان الذي يختار الذهاب إليه، و كذلك ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية للسكان و المحافظة على أملاكهم و تجارتهم و صناعاتهم[2].

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 168.
[2] بوذراع أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م، دراسة عسكرية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الرابع(04)، العدد الثالث(03)، 2002، ص 100.

المبحث الثالث: نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر

ترتب عن الحملة الفرنسية على الجزائر مجموعة من النتائج المختلفة على الصعيد الداخلي و المتمثلة في نتائج سياسية و اقتصادية و اجتماعية و دينية و ثقافية و بشرية[1].

❖ النتائج السياسية

تمثلت في توقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام يوم 5 يوليو 1830م، و في يوم 6 يوليو 1830م دخل الجنود الفرنسيون مدينة الجزائر من الباب الجديد و أنزلت أعلام دولة الداي من جميع القلاع و الحصون و ارتفعت مكانها الرايات الفرنسية[2]. و أقيمت صلاة للمسيحيين و خطب فيها كبير قساوسة الحملة مخاطبا قائد الحملة الفرنسية:" لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا".

و في يوم 10 يوليو 1830م غادر الداي حسين الجزائر متوجها إلى نابولي بإيطاليا ثم فرنسا، و أخيرا توجه إلى الاسكندرية حيث أقام بها حتى وافته المنية و دفن بها سنة 1834م.

ترتب عن عزل الداي حسين من طرف الجيش الفرنسي عن السلطة، نهاية عهد الحكم العثماني في الجزائر و الذي دام لأكثر من ثلاثة قرون (326 سنة)[3].

كلّف الجنرال ديبورمون اللجنة المالية بأخذ جميع أملاك الدولة الجزائرية و طمس جميع معالم السياسة الداخلية التي اتبعها العثمانيون بالجزائر و استبدالها بسياسة تتماشى مع

---

[1] عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002، ص 114.
[2] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحق. ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية، ط2، لبنان، 1964، ص 136.
[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 100.

المصالح الفرنسية و ذلك بتكوين هيئة مركزية مكونة من أعيان الجزائر لتساعدها في تسيير شؤون البلاد الداخلية[1].

تم تحويل الجزائر إلى ملكية فرنسية و قسمت إلى منطقتين: منطقة مدنية مفتوحة للاستيطان الأوروبي و منطقة عسكرية تخضع للحكم العسكري[2].

قام الجيش الفرنسي بنهب و سلب أموال الداي و كنوز القصبة بمساعدة اليهود[3].

❖ النتائج الاقتصادية

بمقتضى مرسوم 08 سبتمبر 1830م، أصبحت أملاك البايلك تابعة لأملاك الدولة الفرنسية، فقد قامت السلطات الفرنسية بمصادرة الأوقاف الإسلامية و جميع ممتلكات الأهالي، كما تم ربط اقتصاد الجزائر بفرنسا و هذا بإلغاء النقود الجزائرية العثمانية و صك نقود فرنسية سنة 1851م و فتح أسواق الجزائر أمام المنتجات الفرنسية[4].

اتبعت السلطات الفرنسية مخطط إجرامي متمثل في حرق الغابات و الحقول و المزارع من أجل تهديم البنية الاقتصادية الجزائرية، كذلك عملت على إجبار السكان على التخلي عن بيوتهم للجنود الفرنسيين مما أدى إلى توقف تجارتهم و أعمالهم المهنية، فقد ذكر السيد ليبسيس و هو أحد المؤرخين نقلا عن الكاتب عمار عمورة:" الأهالي المجردون من أملاكهم بدون أي تعويض بلغ بهم الشقاء إلى حد التسوّل"[5].

---

[1] بوعزة بوضرساية، المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830- 1930م، أطروحة دوكتوراه دولة في التاريخ ، جامعة وهران، 2004، ص 11.

[2] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 11.

[3] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، 2009، ص 220.

[4] جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830م-1962م، تر. قندوز فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث، الجزائر، 2010، ص 15.

[5] عمار عمورة،الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 231.

إضافة إلى هذه الإجراءات تم سن قانون يقتضي بنزع جزء من الأراضي الجزائرية و توزيعها على المستوطنين[1].

❖ النتائج الدينية و الثقافية

من بين البنود التي جاءت في معاهدة الاستسلام التي وقعها كل من الجنرال ديبورمون و الداي حسين بعد سقوط العاصمة ، تعهد السلطات الفرنسية سوف تحترم الأملاك و النساء و حرية الدين للسكان، إلا أن هذه الاتفاقية كانت حبرا على ورق، لأن الفرنسيين خرقوا شروط هذه المعاهدة و هذا باستيلائهم على الأوقاف و الزوايا و قيامهم بحملات تنصيرية[2].

كان الهدف من سياسة التنصير هو إبعاد الشعب عن دينه و محاولة طمس هويته الإسلامية، و فرض الدين المسيحي و القضاء على الإسلام و إخضاع كل شؤون الدين الإسلامي للسيطرة المباشرة للإدارة الفرنسية[3].

عملت السلطات الفرنسية على محاربة اللغة العربية و طمس المعالم الوطنية من خلال إدماج المجتمع الجزائري في الكيان الفرنسي[4]. و لضرب التعليم تم غلق أكثر 2000 مدرسة في الجزائر و أحرقت بعضها و نقلت بعض الكتب و المخطوطات إلى باريس مثلما حصل لمخطوط مدينتي الجزائر و قسنطينة[5].

---

[1] Chareles Roberbt Aregon, Histoire d'Algérie contemporaine, Edition Dahleb, Algérie, 1994, p22.

[2] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 20

[3] رابح تركي، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، منشورات ANEP، 2001، ص 81.

[4] رابح تركي عمامرة، مجلة الشهاب عبد الحميد بن باديس، مجلة الذاكرة، العدد5 ، 1998م، مجلة الدراسات

[5] محمد بن شوش، الغزو الفكري للجزائر(1830م-1870م)، مجلة المصادر، المركز الوطني في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، العدد8، 2008، ص 75.

❖ النتائج الاجتماعية

استطاع الاحتلال الفرنسي القضاء على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومحاولة تفكيك وحدته ، وهذا بإتباعه سياسة فرق تسد من اجل تشتيت وعزل الشعب، فقد اختفت فئتان اجتماعيتان من المجتمع الجزائري هما الأتراك والكراغلة وذلك بسبب هجرة الأتراك نحو اسطنبول، كما حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية تضليل فئة القبائل الموالية للتعلم الفرنسي بحقائق وهمية[1].

كما خلقت الحملة الفرنسية على الجزائر حالة من اللاسلم والااستقرار في الجزائر، فقد كان الجزائريون الذين يسكنون المدن الساحلية يعيشون في خوف وذعر مع عائلاتهم هروبا من بطش الفرنسيين الظالمين[2] . فقد نتج عن سياسة السلب ونهب الأراضي الى تفكيك المجتمع الجزائري و تشريده و طرده من أراضيه إلى أراضي قاحلة أو العمل كخماسين في أراضيهم[3].

من بين النتائج الاجتماعية التي نتجت عن الحملة الفرنسية أيضا، حملات التهجير للجزائريين داخل الوطن وخارجه، فقد قامت السلطات الفرنسية بتهجير العديد من الجزائريين عبر بواخر قدر عددهم حوالي 120فرد[4].

---

[1] بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص73.
[2] عمر سعدالله، القانون الدولي الإنساني و الاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص22.
[3] مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع و رؤى، دار هومة للنسر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص164.
[4] صالح عباد، الجزائر بين فرنسا و الفرنسيين1830م-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص14.

الفصل الأول:

حيـــاة الأمير عبد القادر

تعتبر مقاومة الأمير عبد القادر إحدى أقوى المقاومات التي واجهت الاحتلال الفرنسي حيث تميزت بتنظيمها وشمولها لأجزاء كبيرة من الوسط و الغرب الجزائري، حيث استطاع حشد الشعب الجزائري لحمل راية الجهاد وبناء دولة حديثة. للتعرف على هذه الشخصية كان لابد من التطرق أولا إلى مولده ونسبه وكيفية اعتلائه الحكم.

المبحث الأول : التعريف بالأمير عبد القادر

نناقش في هذا المبحث ميلاد ونسب الأمير عبد القادر وثقافته العلمية.

❖ **مولده :**

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب من العام 1222ھ الموافق لـ ماي سنة 1807م في قرية أسسها جده تسمى القيطنة غرب مدينة معسكر من إيالة وهران[1] ، فقد أجمع على ذلك معظم الذين أرّخوا قديما وحديثا لحياته كولده الأمير محمد وتشرشل وزيدان والبيطار وغيرهم. أما البعض الأخر من المؤرخين فقد اعتبروا العام 1808م هو عام ولادته مثل برونو إيتين[2]. هو الإبن الرابع لمحي الدين والسيدة فاطمة الزهراء[3].

❖ **نسبه :**

يتصل نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، هو عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدة وهي مرضعته بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن

[1] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر، 2000، ص12.

[2] لمياء شربال، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة حياته و إنجازاته و سكه للعملة الوطنية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 1، العدد2، جامعة تلمسان، 2013، ص9.

[3] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر و تق وتع أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طخ، 2009، ص61.

احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحظ بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط[1].

ففي القرن الثامن ميلادي هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المغرب هربا من بطش العباسيين وأنشأ دولة الأدارسة وعاصمتها فاس المغربية. واستمر حكمها حتى القرن الثاني عشر ميلادي. سكنت بعض سلالات العائلة الكبيرة الأندلس وعند سقوطها عام 1492م انتقل أحد أجداده وهو عبد القوي الأول واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف[2] .

اشتهرت عائلة الأمير عبد القادر بالعلم والجهاد فكانوا موضع التقدير والاحترام من الجميع ومحل شورى في كل صغيرة وكبيرة وبذلك استطاعت عائلة الأمير أن تؤثر على قبائل الجزء الغربي من الجزائر المتاخمة للمغرب، خاصة في عهد السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي اشتهر بعلمه وتقواه. أشرف جده مصطفى بن محمد على الطريقة الدينية المعروفة بالطريقة القادرية (مؤسسها الشيخ أبو الصالح الجيلالي في جبال جيلان بالعراق)[3] ذائعة الصيت في المغرب العربي.

---

[1] نزار أباظة، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1994، ص9.

[2] علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبدالقادر، دار المعرفة، لبنان، ص100.

[3] كريمة حروش، الأمير عبدالقادر و إسهاماته في النهضة العربية بالجزائر و بلاد الشام بين النظري و التطبيقي1832م-1860م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران01، 2018، ص14.

المبحث الثـــــاني: نشأته العلمية

نشأ الأمير عبد القادر في أسرة كريمة و عظيمة، إذ اجتمعت في والديه أحسن الخصال، فكان والده من أكبر علماء عصره و كان زعيما للطريقة القادرية[1]. فقد حظي عبد القادر منذ نعومة أظافره بإيثار والده له على باقي إخوته. و ساهمت هذه المكانة الخاصة في تفتح مواهبه مبكرا، كان يتقن الكتابة والقراءة و هو لم يتجاوز الخامسة من عمره[2]. بدأ تعليمه بمدرسة والده في القيطنة[3]. تمكن من قراءة القران و حفظه وكانت له معرفة بأصول الشريعة الإسلامية و هو في سن الثانية عشر، و بعد سنتين تحصل على لقب حافظ أي أنه بسن الرابعة عشر أصبح باستطاعته ترتيل القران عن ظهر قلب و تفسيره، و في هذه المرحلة أصبح يعطي دروسا في جامع الأسرة[4].

بعدها أرسله والده محي الدين لمواصلة دراسته بمدرسة يسيرها أحمد خوجة بوهران، لكنه لم يمكث بها طويلا و ذلك بسبب طريقة التدريس التقليدية التي لم تنل إعجابه، فلم يستقر بها أكثر من سنة ليعود بعدها إلى القيطنة، ليتلقى العلوم الحديثة على يد سيدي أحمد بن طاهر قاضي أرزيو، فدرس علم الفلك و الحساب والجغرافيا، كذلك اهتم بمتابعة الشؤون الأوروبية و ما يحدث فيها من تطورات علمية[5].

و لم يكتف الشاب عبد القادر بتلقي العلوم الدينية و الدنيوية بل اهتم أيضا بالفروسية و ركوب الخيل و فنون القتال، فتفوق في ذلك على غيره من الشباب من نفس سنه، و بذلك كان من القلائل جدا الذين جمعوا بين العلوم الدينية و الفروسية[6].

---

[1] برونو ايتييه، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، لبنان، 1997، ص 17

[2] بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، ط1، بيروت لبنان، 1980، ص 18

[3] صالح فركوس ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر(1830-1925)، المرجع السابق، ص17.

[4] اسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص20.

[5] بسام العسلي ، المرجع السابق، ص 20.

[6] عبد الله مقلاتي، المرجع في التاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2014، ص14.

لما بلغ والده محي الدين الخمسين من عمره أراد أداء فريضة الحج، و هذا ما أدى إلى طرح العديد من الطلبات بمرافقته من طرف أبنائه و حاشيته، وتجنبا للحرج الذي وضع فيه هذا الأخير قرر الذهاب وحده. و لكن في اليوم الموالي حدث استثناء في صالح عبد القادر، و هكذا اضطر الجميع إلى الخضوع لهذا القرار بقلوب حزينة. و غادر محي الدين مع ابنه الذي لم يتجاوز السابعة عشر قرية القيطنة في أكتوبر 1823م.

تسبب شيوع خبر رحلة محي الدين و ابنه عبد القادر إلى الحج، إقبال الآلاف من العرب من كل الجهات رغبة بمرافقتهما في رحلتهما إلى مكة. لم ينفع في صدهم لا العتاب اللطيف ولا الرفض الشديد و ذلك لتقديسهم محي الدين و اعتباره شخصا مباركا و تجمهر العديد منهم على ضفة نهر جديوية في سهل الشلف ناصبين الخيام.

و في ليلة اليوم السادس من رحلته استلم محي الدين خطابا من باي وهران يدعوه للحضور في مقر حكومته. و قبل طلوع الفجر قرر محي الدين العودة إلى وهران تلبية لدعوة الباي، لكن الأهالي طلبوا منه العدول عن هذا القرار متوسلين عدم ذهابه إلى وهران، فأجابهم محي الدين قائلا:" يا أبنائي، أن من واجبي أن أطيع و أن أذهب، حتى ولو كلّفني ذلك حياتي".

و عند وصولهما إلى وهران خصّهما الباي باستقبال ودي مبينا عن نيته الحقيقية، مخاطبا محي الدين قائلا:" **إنك تعلم يا صديقي كم أنت تتمتع باحترامي و حظوتي، و قد أحزنني ما سمعته عنك من الأنباء السيئة إن أعداءك كثيرون و قد خفت أن تقع في يدي داي الجزائر- الداي حسين- الذي قد دخلت ترابه بطريقة أعرف أنها أثارت شكوكه. لذلك أرسلت من ورائك لكي أنقذك من خطر محقق، إن قلبي يموج بالقلق عليك.**"[1]

و قد أجابه محي الدين بهدوء و سخرية:" **و لكي أخلصك من هذا القلق أطعت أوامرك**".

[1] تشارلز هنري تشرشل ، المصدر السابق، ص 67.

و بهذا الخطاب يكون باي وهران قد أبان عن نيته الخبيثة من استدعاء محي الدين، كما أظهر خشيته من شعبية هذا الأخير ووضعه موضع المنافس له على السلطة. و لكنه كان متأكدا من أن أي حركة علنية معادية لمحي الدين ستكون خطرا و لن تعود عليه بأي فائدة، و لذلك استعمل غطاء الصداقة للتحكم بتصرفاتهما ووضعهما تحت الحراسة المشددة، فقد كان الجنود برفقتهما أينما حلا ، في مجالس الأصدقاء و حتى في المساجد، كانا حقا تحت الإقامة الجبرية لمدة سنتين، لم يقم محي الدين و عبد القادر بأي احتجاج أو معارضة بل استغلا هذه العزلة المفروضة عليهما في الدراسة و البحث. و هذا ما جعل باي وهران يستفيق من غفلته و ذلك من خلال السماح لهما بالخروج للحج سنة 1825م، معتقدا بأنها وسيلة لإبعادهما عن البلاد و لو لمدة قصيرة[1].

قرر محي الدين و ابنه عدم العودة لمسقط رأسهما مرة أخرى لوداع أسرتهما تجنبا لتجمهر الحشود، فغادرا وهران بسرعة في نوفمبر 1825م. و عند وصولهما لتونس انضما لوفد من الحجاج يضم 2000 حاج كانوا ينتظرون تحسن أحوال الطقس للسفر إلى الإسكندرية عبر رحلة بحرية[2]. و بعد رحلة دامت حوالي خمسة عشر يوما وصلا إلى الإسكندرية ومنها انطلقا إلى مكة عبر قناة السويس و جدة.

بعد أدائهما لشعائر الحج انفصلا عن جماعتهما و ذهبا إلى دمشق و قد مكثا فيها عدة شهور، تعرفا فيها على مشاهير العلماء و كانا يقضيان معظم وقتهما في الجامع الكبير دائبين على القراءات الدينية. ومن سوريا قاما بزيارة قبر الولي الصالح عبد القادر الجيلاني ببغداد صاحب الطريقة القادرية التي تنتمي إليها عائلة محي الدين[3].

[1] آسيا تميم، المرجع السابق، ص16.
[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص70.
[3] بسام العسلي، المرجع السابق، ص22.

و قد دامت هذه الرحلة مدة ثلاث أشهر، عاد بعدها الأب و ابنه لمسقط رأسهما القيطنة بعد غياب دام أكثر من سنتين قضياها في الحج و الترحال و التجوال مما أكسب الشاب اطلاعا واسعا، و قد استقبلهما الناس بحفاوة كبيرة بعد عودتهما في أوائل سنة 1828م[1].

و بعد عودتهما من الحج، نذر عبد القادر على العيش في عزلة دينية، و لم يكن في صدره أي أطماع دنيوية، إذ كان يحتقر إغراءات الطموح، و لهذا أعطى كل وقته للدراسة المستمرة و الدقيقة فلا يغادر بيته من طلوع الشمس إلى غروبها و لا شيء يمنعه عن الدراسة إلا وجبات الطعام و أداء الفرائض، فقد درس عبد القادر أعمال أفلاطون و فيثاغورث و أرسطو. و درس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم و الحديث. و عن الفلسفة و اللغة والفلك والجغرافية بل حتى عن الطب، و قد تجمعت لديه مكتبة ضخمة.[2]

[1] قدور محماصي، شباب الأمير عبد القادر (أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الإمارة، تر: مختار محماصي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص131.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830-1925)، المرجع السابق، ص19.

المبحث الثـــــــالث: مبايعة عبد القادر

عرّفت البيعة بعدة تعريفات كتعريف ابن خلدون الذي يعرفها بأنها العهد على الطاعة لحاكم[1]، وقد وردت كلمة البيعة في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى : "**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"[2]. وقوله تعالى :"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"[3].

بعد سقوط مدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830م واستسلام الداي حسين وجيشه مقابل ضمان خروجه مع حاشيته من الجزائر حاملين الأموال التي نهبوها من الشعب الجزائري . شرع الجيش الفرنسي في الزحف لاحتلال البلاد بأكملها بدءا بالمدن الساحلية كوهران عام 1832م لتعم الفوضى سائر البلاد وينتشر الصراع بين مختلف القبائل[4].

بالنسبة للعرب كان احتلال مدينة وهران بمثابة المطالبة بالتخلص من الحكم التركي في المحافظة كلها، ثارت مدينة معسكر ضد الأتراك الذين اعتقدوا أن إقامتهم ممكنة و قد تم قتل بعضهم وطرد آخرين كما تم تحويل المدينة إلى جمهورية[5].

أمام هذا الوضع المتردي لجأ سكان الغرب الجزائري إلى اختيار زعيم يحمل لواء الجهاد ويستحدث إدارة تعوض الإدارة التركية فاجتمعت قبائل وعلماء غريس بتاريخ 27 نوفمبر 1832م وعرضوا القيادة على محي الدين بتوجيههم إليه الخطاب التالي : "**إلى متى يا محي**

---

[1] صالح فركوس، تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي ، المقاومة المسلحة 1830م-1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012 ، ص51.

[2] سورة الفتح، الآية 10

[3] سورة التوبة، الآية 11

[4] آسيا تميم ، المرجع السابق، ص 18.

[5] ف ، دينيزين ، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ، تر و تق أبو العيد دودو ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2003 ، ص 22.

الدين ونحن بلا قائد ؟ إلى متى وأنت واقف جامد متفرج على حيرتنا ؟ أنت يا من يكفي لجمع القلوب وتشجيع القانط وردع الخبيث"[1].

وقد وقف أحد الحاضرين قائلا لمحي الدين : "عمت الفوضى في البلاد والعدو دنس المساجد وأحرق الكتب وهدم الدور على أصحابها ولابد لنا من سلطان له شرعية ، وقد اخترناك لتحمل هذه المسؤولية". غير أنه ولكبر سنه رفض محي الدين هذا الطلب وأسند المهمة لابنه عبد القادر[2].

كتب الناصري قائلا :"**أنهم أجمعوا رأيهم على مبايعة الشيخ محي الدين فذهبوا إليه وعرضوا عليه ما في أنفسهم فتجافى عن منصب الرئاسة وأظهر الورع واعتذر بأنه شاخ وذهب منه الأطيبان إنما هو هامة اليوم أو الغد. فأشار عليهم بولده الحاج عبد القادر بن محي الدين. كان لمحي الدين عدة أولاد ليس الحاج عبد القادر أكبرهم ولا أعلمهم ولا أصلحهم وإنما فيه مضاء وإقدام**"[3]. اختار محي الدين نجله عبد القادر لامتلاكه صفات رجل الدولة إضافة إلى تدينه العميق وبراعته في القتال عندما كُلف بقيادة المجاهدين للدفاع عن مدينة وهران[4]. رحّب السكان بتولي عبد القادر الإمارة غير أن هذا الأخير لم يقبل إلا بعد مبايعته من طرفهم.

كان الأمير عبد القادر آنذاك يقود معركة ضد الجيش الفرنسي في مكان يدعى حصن فيليب (وهران) وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، ولما بلغه الخبر من والده أطاعه التزاما بالمبادئ الإسلامية. وبعدها مباشرة بدأت مراسم البيعة الخاصة وهذا باجتماع قبائل وعلماء غريس يوم 27 نوفمبر 1832م بوادي فريوحة عند شجرة الدردارة. – كان الدافع من هذا التقليد اقتفاء أثر السلف الصالح في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان تحت شجرة الحديبية– حضر البيعة زعماء و مشايخ قبائل غريس مثل : الشيخ الأعرج بن

---

[1] صالح فركوس ، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي ، المقاومة المسلحة 1830م-1962م، المرجع السابق ، ص51.

[2] صالح فركوس ، نفس المرجع ، ص51

[3] أبو العباس بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية ، ج و تح : جعفر الناصري، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1956، ص 41-42

[4] آسيا تميم ، المرجع السابق ، ص 19.

محمد بن فريحة ، محمد بن حواء بن يخلف ، أحمد بن التهامي ، عبد الرحمان الورغي وغيرهم. وبعد مبايعته أطلق عليه والده اسم ناصر الدين[1].

تنص البيعة التي كتبها عمه علي بوطالب بن مصطفى بن مختار على ما يلي : "...بعد انعقاد البيعة للإمام المعظم والأمير الجليل المفخم ابن أخينا السيد عبد القادر بن محي الدين ، أحيا الله بهما الدين ، بايعناه على السمع والطاعة و الامتثال للأمر ولو في ولد الواحد منا أو نفسه ، وقدم نفسه على أنفسنا وحقه على حقوقنا"[2].

دخل الأمير عبد القادر مدينة معسكر حيث كان بانتظاره آلاف الفرسان للترحيب به. فتوجه إلى المسجد وصلى بالناس إماما وكان خطيبا للجموع الكبيرة حث فيها الناس على الانضباط والدعوة إلى الجهاد. قام العلماء بعد ذلك بكتابة صك البيعة فكتبه العالم محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الأمير عبد القادر.

قام الأمير عبد القادر بإرسال الوفود والرسائل إلى بقية القبائل والأعيان الذين لم يحضروا البيعة لإبلاغهم بالخبر ودعوتهم إلى مبايعته، فبدأت الوفود تتوالى لأداء واجب البيعة للأمير الشاب وانعقد مجلس عام حضرته جماهير كثيرة من عامة الشعب والأعيان و الأشراف وزعماء القبائل والعشائر تم فيه أداء البيعة العامة يوم 04 فيفري 1833م. حيث يمكن القول أنها استفتاء اختار فيه الشعب وبكل حرية ومسؤولية الشخص المناسب لتحمل المسؤولية ويتولى تسيير شؤون الدولة والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي واحتفظ بلقب الأمير دون لقب السلطان تكريما للسلطان المغربي[3].

---

[1] عبد الرزاق بن السبع ، المرجع السابق ، ص 22.

[2] عبد القادر سلاماني ، بيعة الأمير عبد القادر : حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية، مجلة الشهاب ، مجلد 04 عدد 02 ، جامعة الوادي ، 2008 ، ص291.

[3] شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق ، ص90-91.

الفصل الثاني:

حياة الحاج أحمد باي

يمثل موضوع أحمد باي والمقاومة الشعبية في الشرق الجزائري جانبا هاما في تاريخ الجزائر العام. الذي يحتاج إلى الكثير من الجهد والدراسة لينال حقه كبقية الشخصيات الجزائرية. بعيدا عن خلفية الانتماء وما ذهبت إليه عديد الدراسات التاريخية التي أهملت جوانب مهمة من هذه الشخصية المرموقة. وللتعرف عن هذه الشخصية أكثر نتطرق في هذا الفصل إلى مولده ونشأته وصفاته ثم توليه الحكم في بايلك الشرق.

المبحث الأول : مولده ونشأته

يعتبر الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة و قد اختلف المؤرخون في تاريخ مولده رغم تقارب بعض التواريخ. إذ تؤكد مذكراته أنه ولد عام 1786م[1]. بينما ذكر المؤرخ الفرنسي إمريت مارسيل في وثيقة نشرها في كتابه "الجزائر في عهد عبد القادر" أن باي قسنطينة ولد عام 1780م[2].

ينتسب الحاج أحمد باي إلى أسرة كرغلية* من بايلك قسنطينة، أبوه هو محمد الشريف الذي شغل منصب خليفة الباي حسن الذي تولى الحكم بعد صالح باي المتوفى سنة 1792م ، أما جده فهو الباي أحمد القلي الذي حكم قسنطينة مدة ستة عشر سنة ابتداءا من العام 1755م. يقول عنه الحاج أحمد المبارك في "تاريخ حاصرة قسنطينة" أنه رجل عاقل صالح عالم بتسيير شؤون البلاد[3].أما أمه فتنتسب إلى عائلة بن قانة ذات النفوذ الكبير بمنطقة بسكرة[4]. نُسب الحاج أحمد باي إلى أمه فكان يقال له الحاج أحمد باي ابن الحاجة شريفة[5].

---

[1] أحمد باي، مذكرات أحمد باي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2،1981، ص6.

[2] بوعزة بوضرساية ، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830م-1848م ، دار الحكمة ، ص58.

* كرغلي : من أب تركي وأم جزائرية

[3] محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص6.

[4] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م – 1989 م ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006 ، ص113.

[5] بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص 59.

نشأ الحاج أحمد باي يتيم الأب حيث شنق والده بأمر قاس من داي الجزائر. خوفا عليه من نفس مصير والده هربت به أمه إلى الصحراء أين نشأ وترعرع في كنف والدته وأخواله واتصف بصفات أهل الصحراء من كرم و أخلاق حميدة وحمل اسم والدته منذ ذاك الحين[1].

تلقى أحمد باي تعليمه في بسكرة عند أخواله بن قانة فحفظ القرآن الكريم وتعلم قواعد اللغة العربية كما شب على ركوب الخيل وفنون القتال. ولما بلغ سن الشباب توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ومكث هناك بضع سنين حيث اكتسب خبرات ومعارف جديدة خصوصا عند نزوله مصر حيث انبهر بإصلاحات محمد علي باشا[2].

تصاهر الحاج احمد باي مع عائلة المقراني إذ تزوج السيدة عيشوش بنت عبد السلام المقراني. كما تزوج خدوجة بنت عثمان خوجة أخت حمدان بن عثمان خوجة. لقد كان لهذا الارتباط مع العائلات الكبرى أثر إيجابي على مستقبل أحمد باي في حياته العلمية حيث تمكن من كسب تأييد هذه العائلات باعتبارها مرموقة وذات كلمة مسموعة لدى الأهالي[3].

[1] فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام احمد باي 1832م – 1837م ، تر و تق ، أبو العيد دودو ، الجزائر ، 2007 ، ص29.

[2] آسيا تميم ، المرجع السابق ، ص29

[3] سليمة كبير ، الحاج أحمد باي الصامد في وجه القوات الفرنسية ، المكتبة الخضراء للطباعة و النشر والتوزيع ، ص 7.

المبحث الثاني : صفات الحاج أحمد باي

ظلّت صفات الحاج أحمد باي مجهولة رغم تحليه بالخصال الحميدة ، فهو من ألمع وجوه المقاومة الجزائرية الذين حيّروا فرنسا وجنرالاتها . فقد رفض الخضوع للسلطة الفرنسية وظل صامدا في المقاومة بدعم من السلطة العثمانية وثقة الشعب في حمل راية المقاومة. حيث اعترف له الكثير من الجنرالات بالحنكة العسكرية[1]، لما رأوا فيه من شجاعة وفروسية نادرة كبدتهم خسائر أفسدت مخططاتهم[2].

فقد اختلف أحمد باي عن غيره من بايات عهده بروحه ومشاعره الوطنية الفياضة التي جعلته لا يتردد في التضحية بمنصبه كباي ولا يبخل بوضع ثروته تحت تصرف المقاومة على خلاف بقية البايات الذين ركّزوا اهتمامهم على المنصب والثروة ، حتى أنهم ساوموا الفرنسيين على مناصبهم تحت السيادة الفرنسية التي رفضت هذه المساومة فتخلى البايات عن المقاومة وغادروا البلاد بعائلاتهم وثرواتهم وقطعوا صلاتهم تماما بالجزائر ، أما أحمد باي فتمسك بالمقاومة وصمد حتى استشهاده[3].

غير أن تفسير بعض الكتاب الفرنسيين لهذه الشخصية اتسم بالمغالاة في تشويهها وهذا راجع للحقد والكراهية الذي يكنه الفرنسيون للحاج احمد باي خاصة أنه كسر شوكة فرنسا وحطم كبرياء الفرنسيين وغطرستهم حيث تم وصفه على أنه إنسان لا يعرف الرحمة حتى مع الحيوانات حيث أنه يملك كلابا أنيقة –حسبهم– يطلقها ليلا في حديقة قصره لمهاجمة السباع وفي النهاية يقتلها رميا بالرصاص. على عكس ذلك كان الحاج

---

[1] محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، 1830م-1954م ، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، ص51.

[2] صالح فركوس ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر(1830–1925)، المرجع السابق ، ص22.

[3] محمد الطيب العلوي ، المرجع السابق ، ص52.

أحمد باي مرهف الحس عادلا لا يحب الظلم عطوفا على أسرته ولم يكن غليظ القلب كما وصفه بعض الحاقدين[1].

أشادت جمعية العلماء المسلمين بخصاله الحميدة يوم 17 أكتوبر 1937م بجريدة الميدان "في رد على التحدي الاستعماري الذي احتفل آنذاك بمرور مائة عام على احتلال قسنطينة"....**ويكفيه افتخارا أن تاريخ الجزائر يشهد له يوم هاجم المستعمر مدينة قسنطينة بقواته العسكرية فقد وجد في هذا الباي عدوا لدودا قاد ضده مقاومة عنيفة...**"[2].

وكانت شخصية أحمد باي ذات ذوق مميز قوية الشكيمة فلا وجود للعواطف والأهواء فيها وهذا راجع إلى البيئة الصحراوية التي شب فيها مما أكسبه صفات ميزته عن غيره كالشهامة والمروءة من جهة وحسن التربية والمبادئ السامية من جهة اخرى فأصبح عربي الطباع و تشكلت شخصيته في قالب صحراوي[3].

اعترف أعداءه بحنكته السياسية والحربية وكرهه للغزاة الأجانب كما نجح في كسب قلوب رعاياه بفضل مهاراته في التنظيم العسكري وخططه العسكرية التي جعلت منه حاكما قديرا[4].

أما صفاته الفيزيولوجية فقد تحدث عنه فندلين شلوصر قائلا: أحمد باي متوسط القامة ضخم الجثة لم يتجاوز الأربعين من عمره بعد ، حسب ما استنتجته من لحيته التي لا تزال سوداء، في حين أن سكان المدينة تشيب لحاهم في سن الأربعين. فهذه اللحية

---

[1] بوعزة بوضرساية ، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830م-1848م ، المرجع السابق ، ص64.

[2] صالح فركوس ، تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي ، المقاومة المسلحة 1830م-1962م ، المرجع السابق ، ص47.

[3] بوعزة بوضرساية ، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830م-1848م ، المرجع السابق ، ص63.

[4] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 273.

تصل إلى منتصف صدره وله عينان كبيرتان يتكلم بطلاقة وصوت واضح كما يتميز بالصرامة والجدية[1].

[1] فندلين شلوصر ، المرجع السابق ، ص29.

المبحث الثالث : تولي أحمد باي حكم بايلك الشرق

يذكر محمد الشريف الزّهار نقيب أشراف الجزائر في مذكراته أن الفضل في تولية الكرغلي أحمد بایاً على قسنطينة –إذ كان كل البايات الذين شغلوا هذا المنصب أتراك– حيث كان جل همهم جمع الأموال وتسخيرها لخدمتهم الشخصية و خدمة أولادهم. فعند اقتراب وقت الدنوش* كانوا يأخذون أموال الناس قسرا وظلما بالمصادرة والنهب. فتوالى البايات مع تدهور حالة البلاد مما دفع بالحكام الأتراك إلى توليته (أحمد باي) بایاً على قسنطينة إضافة إلى ثقة الداي حسين فيه[1].

عقب وفاة صالح باي توالى البايات على قسنطينة بشكل غريب. لعبت هذه التقلبات السريعة على حكم قسنطينة دورا هاما في تذبذب الأوضاع الداخلية بالبايلك ، فتم اختيار الحاج احمد باي ليتولى الحكم في الجهة الشرقية وهذا عائد إلى قوة شخصيته وليس لانتمائه إلى عائلة الباي عبد الله أو أن أباه وجده كانا قائدين من قبل. ورغم اعتراض الأتراك على تولية الكراغلة الحكم فإن الداي حسين عينه على البايلك للضرورة القصوى التي تمر بها الإيالة خصوصا فيما يخص تأزم الوضع بين الوجاق والحكومة الفرنسية بسبب مسألة الديون المعروفة[2].

كان أحمد باي قد تقلد العديد من المناصب السياسية التي ساعدته على أن يكون بایاَ. فمارس الحكم وهو في الثامن عشر حيث عين قائدا للعواسي* عام 1807م من طرف الباي عبد الله وذلك لشجاعته وثقافته التي اكتسبها من محيطه العائلي من جهة والبيئة الاجتماعية من جهة أخرى[3].

---

*الدنوش : هي الرحلة التقليدية التي يقوم بها البايات كل ثلاث سنوات إلى العاصمة لتقديم تقرير عام حول الإقليم ، ودفع الإلتزام المالي الذي يحمله كل باي إلى الباشا والخزينة العامة.

*العواسي: وظيفة حكومية لا تعطى إلا لأقارب البا ي في أغلب الأحيان، يشرف على قوة عسكرية كبرى. ينظر إلى بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص67.

[1] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المداني ط2،(1745م-1830م) ، الجزائر ، 1980،ص160

[2] حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص173.

[3] بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص67.

وبعد مقتل الباي عبد الله عُزل أحمد باي من منصبه لفترة وجيزة ، لكن سرعان ما استدعاه الباي نعمان إلى الحكم وعينه قائدا للعواسي مرة أخرى نظرا لخبرته في هذا الميدان واستمر في هذا المنصب حتى وفاة الباي نعمان عام 1815م . فتولى حكم بايلك الشرق الباي شاكر الذي احتفظ بأحمد باي كقائد للعواسي أيضا[1].

وفي عهد الباي أحمد المملوك عُيّن أحمد باي خليفة له بأمر من الداي حسين وهو في الثلاثين من عمره. وبذلك يكون منصب الخليفة ثاني منصب يتقلده أحمد باي في أكبر وأهم مقاطعة في الجزائر.

ولما تسلّم أحمد باي منصب الخليفة سعى إلى اكتساب المزيد من المهارات والخبرة كما سعى إلى كسب ثقة الأهالي ودعمهم ، وقد استمر في هذا المنصب حتى فترة الباي إبراهيم مابين 1820م-1821م[2].

خلال هذه الفترة ظهر خلاف بين الحاج أحمد باي ورئيسه حيث اتهمه هذا الأخير بالتواطؤ مع باي تونس ليأمر بحبسه غير أن أعيان المدينة و البايلك عموما وقفوا إلى جانبه ليغادر قسنطينة بعد ذلك[3].

عند وصوله إلى الجزائر طلب الأمان من الداي الذي عزل إبراهيم آغا وأمر بقتله وذلك بعد التفطن لنواياه الخبيثة تجاه أحمد باي فنال هذا الأخير براءته من التهم المنسوبة إليه. أقام أحمد باي قرابة ثلاثة أشهر في الجزائر ثم انتقل إلى مليانة. بعد فترة انتقل أحمد باي إلى البليدة وخلال فترة إقامته هناك نال إعجاب الآغا يحيى لما أظهره من استقامة وإخلاص وانقلب هذا الإعجاب إلى صداقة وطيدة خاصة بعد العمل البطولي للباي أثناء الزلزال الذي ضرب البليدة عام 1825م ، حيث أظهر شجاعة منقطعة النظير تنم عن إخلاصه للوطن. كل هذه الظروف جعلت الآغا يحيى يتوسط للحاج أحمد لدى الداي لتعيينه بايا على قسنطينة ، وهذا ما حدث سنة 1826م حيث عينه

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص139.
[2] بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص84.
[3] محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص7.

الداي حسين بايا على بايلك الشرق. لما تولى الباي هذا المنصب وظف كل خبرته في إدارة الإقليم على أكمل وجه كما تصاهر مع عائلات مرموقة في المنطقة لنيل التأييد مثل ما هو الحال مع عائلة المقراني وعثمان بن خوجة[1].

عند الغزو الفرنسي للجزائر منتصف العام 1830م وقف الحاج أحمد باي إلى جانب الداي حسين وهذا عند دعوته إلى العاصمة في رحلة الدنوش، حيث أمره الداي بتحصين ميناء عنابة . ومادام الباشا حسين لم يطلب منه إحضار الجيش فلم يصحب معه سوى 400 فارس إضافة إلى أعيان قسنطينة. فور وصوله إلى العاصمة أخبره الداي حسين بتفاصيل الحملة وطلب منه الاستعداد لمواجهة الفرنسيين في سيدي فرج وأخبره أن له جواسيس في مالطة وجبل طارق وفرنسا يرصدون أخبار الفرنسيين[2].

شارك الحاج أحمد باي في معركة سطاوالي وفقد فيها 200 من رجاله فانسحب إلى وادي القلعة ثم عين الرباط مصطفى باشا (شرق العاصمة حاليا) وتابع طريقه شرقا نحو قسنطينة لينضم إليه نحو ألف وستمائة مقاتل من الفارين من الجيش الفرنسي رجالا و نساء. عند وصوله إلى أولاد زيتون استلم رسالة من دي بورمون قائد الجيش الفرنسي يطلب فيها دفع الجزية على نحو ما كان يدفعها إلى الباشا مقابل إبقائه في منصبه والاعتراف به غير أن الحاج أحمد باي رفض[3].

أثبت أحمد باي ببطولته وكفاحه ضد المستعمر الفرنسي الغاشم أنه يستحق منصب الباي عن جدارة[4]. فهو آخر العثمانيين الشجعان الذين رفضوا الاستسلام فقد اعتبر نفسه ممثلا للخليفة العثماني بعد سقوط الداي ليقرر مواجهة الاحتلال وعدم تسليم الشرق الجزائري حيث نجح في صد هجوم كبير على قسنطينة سنة 1836م ، غير أنها

---

[1] سليمة كبير ، المرجع السابق ، ص7.

[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص229.

[3] بسام العسلي ، المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830م-1838م ، دار النفائس ، ط3 ، الجزائر ، ص115.

[4] عمار بن محمد بوزير ، مقاومة أحمد باي في الشرق ، ظروفها ، مراحلها ونتائجها ، الجزائر ، ص9.

سقطت في العام الموالي ليلجأ إلى الصحراء وواصل المقاومة حتى استسلم عام 1847م بعد ان حاصره الجيش الفرنسي في جبال الأوراس، فاعتُقل ووضع تحت الإقامة حتى وفاته عام 1952م[1].

[1] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ، ص128.

الفصل الثالث:

عوامل القوة والضعف لمقاومة الأمير عبد القادر

حققت مقاومة الأمير عبد القادر انتصارات تاريخية، فاز خلالها البطل الجزائري في أغلب المواجهات العسكرية، التي كانت بينه و بين القوات الفرنسية بالرغم من تفوق الجيش الفرنسي عدة و عتادا. إلا أن تلك الانتصارات باءت بالفشل و ذلك نتيجة عدة عوامل و هذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل حول عوامل القوة و الضعف لهذه المقاومة.

المبحث الأول: عوامل القوة لمقاومة الأمير عبد القادر

1- شخصية الأمير عبد القادر

اهتم العسكريون الفرنسيون بشخصية الأمير عبد القادر واعترفوا بنبل أصله الذي فاق أصول الأمراء الأوروبيين على الطريقة القديمة فهو العربي الوطني المحمدي ذو الرحمة التي تغلب التعصّب ، يحمل طموحا كبيرا كونه كان يريد الاستقلال وتحقيق عظمة الشعب العربي. جعلته وطنيته واسع الشعبية عند كل القبائل. لذلك كان ينتقل بحرية في كل مكان دون موكب ولا حرس شخصي. حيث برز في العمليات الأولى بوهران شهر ماي 1832م كقائد عسكري ناجح ومقداما على الخطر دون خوف فلم تعقه النيران ولا المنحدرات. حيث تمكن من محاربة فرنسا مدة 15 سنة دون هوادة.

كان الأمير عبد القادر سليل أسرة شريفة من الفرسان الشجعان الذين اقتحموا شمال إفريقيا وإسبانيا خلال القرن الثامن ميلادي. تشبعت شخصيته بمبادئ الدين الإسلامي حيث واظب على القراءة والكتابة والمطالعة. استطاع بقوة عزيمته الإطاحة بأعدائه وإخضاع القبائل المتمردة فتحول من مرابط بسيط وشيخ قبيلة إلى أمير على ثلاث مقاطعات ومنافس للمغرب وتونس ومسيطر على شمال إفريقيا. فقد تميز منذ شبابه بقوة التأثير على رعيته وبلاغته في الخطابة ومهارته في المبارزة وشجاعته في المعارك[1].

[1] بودن غانم ، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين ، مجلة تافزا ، الدراسات التاريخية والأثرية ، 2001 ، ص36.

2- تأسيس عاصمة الأمير عبد القادر

سقوط عاصمتي الأمير عبد القادر جعله يبادر إلى إنشاء عاصمة متنقلة تحت إسم الزمالة تكون حصنا منيعا في وجه قوات الاحتلال وتساهم في تطوير الحرب الحركية لمواصلة الكفاح. الزمالة هي عبارة على مدينة من الخيام الموزعة على شكل دوائر و تتوضع في كل دائرة قبيلة فهي مدينة متنقلة تمتد إلى عرض الصحراء تمتد من تاقدامت* إلى جبال عمورة. بلغ تعداد سكان الزمالة ما بين 50 و 70 ألف نسمة من المدنيين. تتكون زمالة الأمير عبد القادر من ثلاثة أقسام : الزمالة وبها مقر الأمير وأسرته وحاشيته. اما الدوائر وهي عبارة عن خيام على شكل دوائر يسكن بها المدنيون من عامة الشعب (نساء ، أطفال ، باعة ، حرفيين ...) والقسم الثالث هو المحلة ويحوي معسكر الجند ومصانع السلاح كما يحتوي أيضا على مستودعات الأسلحة والمؤن[1].

مع نهاية الكفاح شهد الأمير سقوط مدنه الواحدة تلوى الأخرى على يد القوات الفرنسية التي قصفت هذه المدن وأحرقتها ثم استولت عليها. فبعد معسكر سقطت تلمسان وسعيدة والمدية وتازة و بوغار و مليانة وبوسعادة وحتى تاقدامت التي كانت في منأى على هجمات الفرنسيين. فمنذ العام 1842م فقد الأمير عبد القادر الشعور بالأمان في إقامته الرسمية فقرر إقامة عاصمة متنقلة يسهل تفكيكها ونقلها لتغيير موقعها حسب الحاجة. لم تكن الزمالة فكرة الأمير فقد تواجدت دواوير تنتقل بحثا عن الماء والكلأ لماشيتها. غير أنها لم تبلغ درجة تعمير المدن الحديثة التي عهدها

---

* هي إحدى القلاع العسكرية التي بناها الأمير عبد القادر على الخط الجنوبي ، يُنظر إلى :عبد القادر دحدوح ، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1836م-1842م) دار الموفم للنشر ، الجزائر ، ص45

[1] عثمانية هناء ، القواعد الحربية لدولة الأمير عبد القادر ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، تح : التاريخ المعاصر ، جامعة بسكرة ،2016 ، ص37.

الأمير. في ظل هذه الظروف برزت مدينة جديدة مليئة بالضجيج وفريدة من نوعها تأوي عشرات الآلاف من البشر[1].

تعتبر الزمالة مركزا حربيا ومقرا مدنيا بها مائتا ألف شخص حيث كان الأمير يبث منها عيونه (جواسيسه) ويرسل منها مبعوثيه ويستعد فيها للمعارك، وازدادت فيها قوته حتى أصبحت حصنا منيعا وعاصمة بأتم معنى الكلمة. وقد عيّن الأمير لحراسة الزمالة أربع قبائل من العرب وفرقة من الجند النظامي. اشتهرت هذه المدينة المتنقلة التي جابت النجود والأغوار بين حل وترحال وحرص الأمير على جعل نظام التعسكر مُحترما من الجميع ومنظما بدقة[2].

بكبر حجمها احتاجت الزمالة إلى موارد مائية ضخمة سيما في المناطق الصحراوية، لهذا عمل الأمير على إقامة فرق خاصة من الشرطة تمنع تبذير المياه أو تلويثها من قبل الماشية ، أما المواد التموينية (قمح ، شعير ...) فكانت تُجلب إلى الزمالة أو تُقدم من طرف قبائل الشمال عندما يطلبها الأمير[3].

[1] ع. بن أشنهو ، الدولة الجزائرية في 1830م ومؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر ، تر لعراجي نور الدين ، دار موفم للنشر ، الجزائر

[2] بسام العسلي ، الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ص66.

[3] بسام العسلي ، نفس المرجع ، ص67.

3- حرب العصابات (حرب الكر والفر)

❖ مفهومها

من الناحية الإستراتيجية تُعتبر حرب العصابات جزءاً مكملا لحرب الحركة أو الحرب النظامية التي يمارسها الجيش النظامي في إطار حرب التحرير[1]. وهي تقنية عسكرية ينتهجها الطرف الأضعف لمواجهة القوى النظامية تجنبا للمواجهة المباشرة حيث تمكنه هذه التقنية من التفوق على الخصم[2].

يعرف تشي غيفارا (1928م-1967م) حرب العصابات على أنها مرحلة من الحروب التقليدية ويجب أن تسير وفق قوانينها[3].

ولنجاح حرب العصابات يجب أن تتوفر عدة شروط نذكر منها : تجنيد الشعب و الاطلاع الجيد على تضاريس المنطقة و إيجاد الدعم من طرف خارجي كما تتطلب هذه الحرب انتهاج أسلوب المفاجأة والعمل الليلي[4].

يعتمد مقاتلو حرب العصابات على السرعة الخاطفة في إصابة الهدف (ما يسمى بضربة الشبح) ومباغتة الطرف الآخر ، ويعتبر الدعم الشعبي في منطقة العمليات أمرا بالغ الأهمية حيث يعتمد المقاتلون على السكان المحليين في توفير المعلومات الاستخباراتية[5].

❖ الأمير عبد القادر مخطِط حرب الكر والفر

أعلن الأمير عبد القادر الذي برع في أسلوب حرب العصابات حربا شاملة على الاستعمار الفرنسي حيث أرعب القادة الفرنسيين ما جعلهم يطلبون المزيد من العتاد

---

[1] صلاح حسن الربيعي وآخرون ، استراتيجية الحروب التحريرية الوطنية ، مركز الكتاب الأكاديمي ، الأردن ، 2015 ، ص54.

[2] عودة يوسف سليمان الموسمي ، جريمة استهداف إثارة الحرب الأهلية ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2018، ص36.

[3] الهيثم الأيوبي وآخرون ، الموسوعة العسكرية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، 1997 ، ص724.

[4] أرنستو تشي غيفارا ، حرب الغوار ، تر ، فؤاد أيوب ، علي الطود ، بيروت ، ص9.

[5] آلانستيفنز– نيكولا بيكر ، منطق الحروب واستراتيجيات القرن الـ21 ، تر : أدهم وهيب مطر ، دار رسلان ، دمشق ، 2017،ص117.

والجيوش لمواجهته. بعد مرور ثماني سنوات من الحرب أدركت فرنسا أن لا رادع لهذه المقاومة الشرسة التي منعتها من التوسع والتوغل في الجزائر وهذا ما جعل الجنرال بيجو يعقد هدنة مع الأمير.

ازداد نفوذ الأمير ليصل إلى ثلثي البلاد سيما بعد انعقاد معاهدة التافنة مع السلطات الفرنسية يوم 30 ماي 1837م حيث قام الأمير بعد المعاهدة بتنظيم شؤون دولته وحاول إثبات سيادته من خلال سك العملة باسمه[1].

بعد ان استقام الأمر للأمير بدأ في تشكيل الكوادر الحكومية فعين رجال مؤهلين معتمدا على الفقه الإسلامي (التشريعات المستمدة من القرآن والسنة) نظاما لحكمه ، وجاهد من أجل تحرير الوطن وسارع إلى تأسيس جيش نظامي وطور استراتيجيته العسكرية كما طور في أسلوب حرب العصابات فقد كان يفاجئ القوات الفرنسية ويربكها مما جعله من أشهر رواد هذا النوع من الحروب حيث تفوق على الشيخ عبد الكريم الخطابي بالمغرب وعمر المختار في ليبيا[2].

استفاد الأمير عبد القادر من تضاريس البلاد وموقعها الجغرافي فجعل من أراضيها الوعرة وممراتها الضيقة والمتشعبة موقعا لمباغتة العدو حيث انتهج أسلوب الكر والفر حيث استفاد من القوات قليلة العدد أكثر من الجيوش الضخمة[3].

لم يستطع الأمير عبد القادر مجابهة القوات الفرنسية لتفوقها عددا وعدةً فلجأ إلى حرب العصابات والمناوشات ونصب الكمائن والهجمات الخاطفة والترحال الدائم لتضليل العدو[4].

---

[1] لمياء شربال ، نقود الأمير عبد القادر ، 1836-1841 ، جامعة تلمسان ، 2015،ص60.
[2] علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص6.
[3] أديب حرب ، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر ، ج1 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2005 ، ص11.
[4] غالي غربي ، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ، الجزائر ، 2007 ، ص169.

وقد خاطب الأمير عبد القادر أفراد جيشه قائلا:"**لا تحاربوا الفرنسيين في عدد كبير ، بل اقتصروا على مضايقتهم ومطاردة أجنحتهم ، وقطع اتصالاتهم ، و الاستيلاء على معداتهم ووسائل نقلهم و التراجع الخادع ونصب الكمائن والهجوم المفاجئ لنشر الارتباك والحيرة بينهم**"[1].

استطاع الأمير الوقوف في وجه القوات الفرنسية الغازية مدة 15 سنة وتمكن من تأسيس دولة على أسس وقواعد متينة معتمدا على أسلوب حرب العصابات. حيث أنّ الخبرة النضالية والقناعة الوطنية سمحت له بالاستمرار في المقاومة لسنوات طويلة رغم محدودية الإمكانات عُدةً وعتاداً بفضل دهائه العسكري وخفة تنقلاته حتى سُمي أبا النهار والليل فقد وصفته إحدى الصحف العالمية في مقال لها عن الثورة الجزائرية بأنه **(موجود في كل مكان ولا يوجد في أي مكان)**[2].

4- أهم معارك الأمير عبد القادر و أثارها الإيجابية

❖ **معركة المقطع (27 جوان 1835م)**

تُعتبر معركة المقطع من أشهر المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد القوات الفرنسية وهو في عمر السادسة والعشرين. جرت أحداث هذه المعركة بوادي المقطع بمدينة أرزيو قرب وهران في الغرب الجزائري[3].

تغطي المستنقعات الجزء الجنوبي لخليج أرزيو كما تصب أودية كثيرة في هذه المنطقة كوادي الحمام-سيق ، أما مضيق الهبرة فيقع بين جبال الحميان وهذه المستنقعات حيث يلتقي نهر الهبرة ونهر سيق ثم ينحدران إلى البحر عبر مجرى ضيق يدعى المقطع[4].

---

[1] سامية أبو عمران ، الأمير عبد القادر رمز المقاومة العسكرية الجزائرية ، مجلة المصادر، عدد 11 ، 2005 ، ص73.

[2] سامية أبو عمران ، نفس المرجع ، ص 77.

[3] صالح فركوس ، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة ، المرجع السابق، ص 57.

[4] اسماعيل العربي ، العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص91.

لم يكن الجنرال تريزيل (Trézel) مستعدا لمواجهة الأمير عبد القادر فقرر عبور طريق مضيق الهبرة. تفطن الأمير لوجهة القوات الفرنسية فسعى إلى الوصول إلى مضيق نهر الهبرة و الاستيلاء عليه ليجعل القوات الفرنسية تحت رحمته إذا أن المضيق هو المنفذ الوحيد للوصول إلى الساحل[1].

غير أن المسافة طويلة للوصول إلى الهضاب المطلة على الهبرة فاختار الأمير ألف فارس من عسكره وأردف مع كل فارس عسكريا من المشاة فضمنت له هذه الطريقة الوصول إلى مضيق الهبرة[2].

وفي ظُهر الـ28 جوان 1835م اندلعت المعركة بهجوم القوات الجزائرية على قوات الاحتلال بوابل من الطلقات النارية من جميع الجهات[3] ، فحاولت القوات الفرنسية التقدم إلى الأمام. عندها قام مقاتلي الأمير عبد القادر بدحرجة الصخور من أعالي الهضاب لتشتيت الحشود الفرنسية وقطع الطريق عليها فتفرقت القوات الفرنسية بين من يحاول فتح الطريق ومن يدافع محاولا رد الهجوم مما سمح بفتح ثغرة في صفوف الفرنسيين توغلت القوات الجزائرية من خلالها. في ظل الاضطراب الذي أحدثه هجوم القوات الجزائرية سارعت الكتائب الفرنسية إلى الهرب تاركة جزءا كبيرا من أسلحتها في ميدان المعركة باحثة عن مخبأ[4].

في اليوم الموالي وصلت قوات الدعم الفرنسية التي طلبها تريزيل(Trézel) من وهران عن طريق البحر بقيادة المقدم لاموسيير(Lamouricière). وفي الفاتح من جويلية عاد الأمير رفقة قواته إلى معسكر التي دخلها من قبل. خلفت هذه المعركة خسائر جسيمة للطرف الفرنسي تجاوزت الألف جندي بين قتيل وجريح إضافة إلى ضياع

---

[1] يوهان كارل بيرنت ، الأمير عبد القادر ، تر: أبو العيد دودو ، دار هومة ، 2009 ، ص91.

[2] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص135.

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح ممدوح حقي ، ج1 ، الجزائر ، 2007،ص152.

[4] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص135.

عدد هائل من البنادق التي غنمها الطرف الجزائري كما فقد المقدم لاموسيير(Lamoricière) عينه. وصف هذا الأخير الجيش الفرنسي بعد المعركة بأنه جيش ذو روح معنوية منهارة[1].

كان لمعركة المقطع صدى دولي كبير خاصة لدى الرأي العام الفرنسي حيث انتقد البرلمان الفرنسي حالة الجيش وطالب بتغيير قياداته. استجابت الحكومة الفرنسية لهذه الضغوطات فعينت الجنرال كلوزيل(Trézel) حاكما عاما و دارلانج (Darlange) خلفا لتريزيل (Trézel) بوهران[2].

على الصعيد الجزائري أدى انتشار خبر هذا الانتصار إلى زيادة الوعي بين القبائل وتوطيد دعائم الدولة الجزائرية التي سعى الأمير عبد القادر إلى تأسيسها[3].

❖ **معركة سيدي يعقوب (25 أفريل 1836م)**

تقع مدينة سيدي يعقوب جنوب غرب مصب وادي التفانة وتبعد عنه بنحو 8 كلم وتمتاز بغطاء نباتي كثيف و بها طرقات ضيقة وتحيط بها تلال منخفضة كثيفة الأشجار ويمتد أمام هذه التلال سهل سيدي يعقوب[4].

بعدما قام دارلانج(Darlange) بتحصين المنطقة قسَم جيشه إلى قسمين حيث بقيت الفرقة الأولى في المعسكر للدفاع عنه وهي متكونة من 600 مقاتل يقودها العقيد لامورسييه (Lamoricière)، بينما تحركت الفرقة الثانية بتعداد 1800 مقاتل تحت قيادته (دارلانج). ترأس العقيد كومب كتيبة الفرسان الفرنسية والمتكونة من 180 فارس. حيث كانت مهمة هذه الأخيرة مجابهة القوات الجزائرية عند اعتراضها لها. عند وصول قوات دارلانج (Darlange) إلى منطقة سيدي يعقوب برزت أمامه قوات الأمير عبد القادر فأرسل بعثة عسكرية بقيادة العقيد كومب قامت بالهجوم على

---

[1] محمد الطيب العلوي ، المرجع السابق ، ص98.

[2] سلاماتي عبد القادر ، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832م-1847م ، 2008-2009، ص42

[3] الحاج مصطفى بن التوهامي ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، يحيى بوعزيز ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009، ص 108.

[4] أديب حرب ، المرجع السابق ، ج1 ، ص274.

القوات الجزائرية بواسطة المدفعية[1]، إلا أن القوات الجزائرية ردت بهجوم معاكس وخاطف وتمكنت من محاصرة فرقة الجنرال دارلانج (Darlange) الذي تراجع لكن فرقة جزائرية قطعت طريق تراجعه أما العقيد كومب فقد سحب فرقته للتمركز في موقع أفضل للقتال . قامت فرقة جزائرية أخرى بشن هجوم على معسكر التافنة مما مكن قوات الأمير من السيطرة على مراكز المدفعية.

حققت القوات الجزائرية انتصارا باهرا في هذه المعركة وعملت على تضييق الخناق على حامياتها العسكرية وتعزيز ثقة القبائل بالأمير عبد القادر وزيادة الروح المعنوية لقوات الأمير والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي والقضاء على توسعه بالبلاد[2].

5- إبرام معاهدة دي ميشيل 26 فيفري 1834م

تولى الجنرال دي ميشيل*(Desmichels) حكم وهران في 23 أفريل 1833 م خلفا للجنرال بواييه[3].

وبعد اتفاق قبيلتي الدوائر والزمالة* مع الجنرال دي ميشيل أصبح الوضع خطرا مما جعل الأمير يسعى إلى استمالتهما بطريقة دبلوماسية وهذا بإرسال موفدين لهما لإقناعهما بالاتحاد معه من جديد ، وقد نجح في ذلك وهذا بعد انشقاق قبيلة الزمالة عن السلطات الفرنسية وقطع علاقاتها التجارية مع قائد مقاطعة وهران العسكري.

---

[1] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 113.

[2] أديب حرب ، المرجع السابق ، ج1 ، ص276-282.

[3] أديب حرب ،نفسه، ج1 ، ص394.

* دي ميشيل : لويس أليكسيس البارون دي ميشيل ولد في مدينة ديني الفرنسية في 15 مارس 1779م والتحق بالجيش الفرنسي ، تحصل على رتبة جنرال ُناء توليه قيادة مقاطعة وهران (1833-1835) اعتمد على القوة في غزو القبائل والمدن المجاورة لوهران غير أن قوة الأمير عبد القادر أدت إلى فشله مما اضطره إلى إقامة صلح مع الأمير عبد القادر تجنبا للخسائر الحربية فاقترح على الأمير معاهدة صلح ووقعها معه فأصبحت تحمل اسم معاهدة دي ميشيل بتاريخ 26 فيفري 1834م. توفي في باريس في 8 جوان 1845م . يُنظر إلى الأمير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر السيرة الذاتية ، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008 ، ص118.

* الدوائر والزمالة : قبيلتان ذاتا مزيج من الأتراك والعرب تحالفتا مع السلطات العثمانية ، أنظر كتاب يحيى بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، ص 57

كان لهذا الانشقاق تبعات سلبية على الجيش الفرنسي في شتى أنحاء الجزائر. كما قامت مقاطعة وهران بتهديد الحاميات العسكرية الفرنسية بالجوع وذلك بعد رفض سكان القرى تموين الثكنات بالحبوب والمواشي[1].

بعد توالي انتصارات الأمير عبد القادر وجيشه اضطر الجنرال دي ميشيل (Desmichels) أن يعقد معه هدنة في فيفري 1834م اعترف فيها هذا الأخير بإمارة الأمير عبد القادر مقابل موافقته على سلطة فرنسا على مدن : الجزائر ، مستغانم ، وهران ، أرزيو[2].

ففي أواخر سبتمبر 1833 م توجه قدور أحد أفراد قبيلة البرجية إلى أرزيو حيث باع لحامية الفرنسيين المؤن وطلب الحماية من الفرنسيين خوفا من مراقبة الأمير لكل من يتعامل مع الفرنسيين فعُينت له فرقة لحمايته غير أن الأمير عبد القادر نصب له كمينا قضى عليه وعلى الفرقة وأخذ من بقي على قيد الحياة كأسرى[3].

فأصبحت هذه الحادثة ظرفا مواتيا لتوقيع معاهدة صداقة بين الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشيل الذي تذرع بالأسرى الذين وقعوا في الكمين[4].

حيث قام الجنرال دي ميشيل بمراسلة الأمير عبد القادر عدة مرات يستعطفه لإطلاق سراح الأسرى الذين أُسروا في الكمين[5]. غير أن موقف الأمير كان معاديا للسلطات الفرنسية وللجزائريين الذين تعاملوا معها وانحازوا لحكام وهران حفاظا على مصالحهم الخاصة. ليقوم الجنرال بشن هجوم على قبيلتي الزمالة والدوائر[6].

---

[1] عبد الحميد زوزو ، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير عبد القادر ، دار هومة ، ص113.

[2] يحيى بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، ص51.

[3] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص114.

[4] عبد الحميد زوزو ، نفسه، ص115.

[5] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص 115.

[6] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 116.

ثار الأمير على تصرفات الجنرال دي ميشيل (Desmichels) اتجاه أصدقائه فتوجه من منطقة بني عامر رفقة خمسة آلاف من مقاتليه لدعم أصدقائه واشتبك مع القوات الفرنسية في معركة دامت ثلاث ساعات بمنطقة تاموزنا لتنسحب القوات الفرنسية إلى وهران كما عاد الأمير إلى منطقة قبيلتي الزمالة والدوائر لنقل النساء والأطفال إلى سهل تلمسان تجنبا لبطش القوات الغازية[1].

بعد تضييق الخناق على الجنرال دي ميشيل(Desmichels) ألح في طلبه للتفاوض مع الأمير (إذ كان يراسله لثلاث مرات في الشهر). وبتاريخ 6 ديسمبر 1833م أرسل الجنرال اليهوديان بوشناق ومردخاي عمر في محاولة لنيل موافقة الأمير على المفاوضات. ليكلّف الميلود بن عراش وزير خارجية الأمير عبد القادر و خليفة بن محمود لإدارة هذه المفاوضات. وفي الرابع من فيفري 1834م التقى الوفدان قرب عاصمة الإيالة الغربية وتناقشا حول شروط الهدنة[2].

وأثناء هذا الاجتماع سلم مردخاي عمر مسودة مقترحات الجنرال دي ميشيل إلى وزير خارجية الأمير عبد القادر وتحتوي على ما يلي:

- إيقاف الحرب نهائيا بين الفرنسيين والعرب.
- احترام عادات وتقاليد المسلمين.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين.
- حرية التجارة في كافة المدن.

بعد اطلاع الأمير عبد القادر على هذه المقترحات والتي اعتبرها مقبولة باعتبارها تشكل جزء من معاهدة كاملة. بعد ذلك قام الأمير بمراسلة الجنرال دي ميشيل يعلمه

---

[1] شارل هنري تشرتشل ، المرجع السابق ، ص 108

[2] برونو إيتييه ، الامير عبد القادر الجزائري ، تر: ميشيل خوري ، ط2، دار الفرابي ، بيروت ، 2001،ص176.

باستقبال مردخاي عمر على ضفاف نهر الهبرة حيث كانت هذه المراسلة بتاريخ 11 فيفري 1834م فحضر هذا الأخير رفقة بوشناق والمقدم عبد الله دالبون[1].

بعد توقيع الأمير عبد القادر على شروط ومقترحات الجنرال دي ميشيل (Desmichels) وضع بدوره شروطا خاصة به والمتمثلة في[2]:

- حرية العرب في شراء وبيع العتاد الحربي (البارود ، الأسلحة ، الكبريت...)
- شحن البضائع من ميناء أرزيو بإشراف الأمير عبد القادر أو ممثل عنه
- تعهد القائد الفرنسي بإعادة جميع الفارين من العرب ومنع لجوء المجرمين إلى أراضيها.
- حرية المسلم في العودة إلى دياره إن رغب في ذلك[3].

❖ تحليل معاهدة دي ميشيل

أ- **من حيث الشكل** : كُتبت معاهدة دي ميشيل على مستطيل جوانبه 18 x 11 سم ورُسمت على ورقة عادية 34 x 22 سم وتتضمن قسمين في شكل عمودين متوازيين ، اختلفا من حيث الشكل واللغة وتوافقا من حيث المضمون والنتائج. فالجهة اليمنى هي بنود المعاهدة باللغة العربية يقابلها من الجهة اليسرى النص باللغة الفرنسية وقد ختم كل طرف بختمه[4].

ب- **من حيث المضمون** : بتاريخ 25 فيفري 1834م قام الجنرال الفرنسي دي ميشيل بختم وثيقة مقترحات الأمير عبد القادر وتوقيعها. وفي اليوم الموالي وبناءا على طلب حاكم مقاطعة وهران وموافقة وزير خارجية الأمير عبد القادر ميلود بن

---

[1] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص110.
[2] بسام العسلي ، جهاد الشعب الجزائري ، الأمير عبد القادر، دار النفائس ، بيروت ، 1986، ص90.
[3] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص111.
[4] أديب حرب ، المرجع السابق، ج1 ، ص 122.

عراش وُضعت معاهدة شملت أهم بنود الوثيقتين السابقتين وهكذا تمت معاهدة دي ميشيل بتاريخ 26 فيفري 1834م[1] حيث تتضمن ست مواد:

- **المادة 1:** انتهاء الحرب نهائيا بين الفرنسيين والعرب ، ولمنع الصدام بين الطرفين تم تعيين ممثلين لكل طرف حيث يقيم ممثل الأمير عبد القادر في وهران و مستغانم و أرزيو بينما ممثل الطرف الفرنسي يقيم في مدينة معسكر.
- **المادة 2** : احترام ديانة وعادات العرب.
- **المادة 3:** إطلاق سراح كل المساجين من كلا الطرفين.
- **المادة 4** : حرية التجارة.
- **المادة 5** : يُعاد الجنود الفرنسيين الفارين من طرف العرب ويُعاد الفارين العرب أيضا إلى قبائلهم.
- **المادة 6** : كل أوروبي يريد السفر داخل البلاد يجب منحه جواز سفر موقع من طرف ممثلي الأمير عبد القادر ومصادقا من طرف الحاكم العام.

6- معاهدة التافنة 30 ماي 1837م

بعد الهزائم التي ألحقها الأمير عبد القادر بالحكومة الفرنسية قامت هذه الأخيرة بعزل الجنرال كلوزيل(Clauzèl) و تعيين الجنرال بيجو[2] (Peugeot)خلفا له ، حيث حُددت مهام الجنرال بيجو(Peugeot) في الجزائر بعقد الصلح مع الأمير أو الانتصار عليه. فجرت مفاوضات طويلة تم فيها تبادل العديد من الرسائل بين بيجو(Peugeot) والأمير عبد القادر ، ولم يشأ هذا الأخير الانفراد بأمر بالغ الأهمية دون استشارة قادته وزعماء قومه فعقد اجتماع على إحدى ضفاف نهر هبرة يوم 25 ماي 1837م

[1] اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص31.
[2] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص150.

دعا فيه شيوخ القبائل والقادة العسكريين وأعيان إقليم وهران[1]. وبعد طول نقاش استمع الجميع إلى اقتراحات الجنرال بيجو (Peugeot) :

- الاعتراف بالسيادة الفرنسية.
- تحديد منطقة نفوذ الأمير بنهر الشلف.
- دفع الجزية للحكومة الفرنسية.
- تسليم الرهائن كعربون صدق و تنفيذ أي معاهدة مستقبلية يمكن الاتفاق عليها.

رفض الأمير هذه المقترحات رفضا قاطعا وكلف عميله ابن دران بأن يبلغ بيجو مذكرة شفهية تتضمن ما يلي : "**إن الأمير عبد القادر لم يواجه أي هزيمة ولن يرضى بوضع أدنى من الوضع الذي أقرته معاهدة دي ميشيل . وأضاف أن المسلمين لن يقبلوا العيش تحت السلطة المسيحية ولو كانت سلطة اسمية كما أبلغ أيضا أنه لن يتخلى عن سكان إقليم التيطري الذين بايعوه ووضعوا أنفسهم تحت حمايته**"[2].

كما أرسل الأمير عبد القادر لاحقا المقترحات التالية :

- التخلي عن البليدة.
- كل المسلمين القاطنين خارج المدن هم تحت سلطة الأمير الشرعية.
- من حق الأمير شراء الأسلحة و البارود والكبريت.
- الكراغلة الذين يفضلون البقاء في تلمسان سيحتفظون بأملاكهم ويكونون تحت سلطة الأمير وعليهم الامتثال للقوانين المعمول بها[3].

---

[1] بسام العسلي ، المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830م-1838م ، مرجع سابق ، ص ص122.

[2] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص130.

[3] شارل هنري تشرتشل ، نفسه ، ص157.

ثم أرسل الأمير عبد القادر مرة أخرى مبعوثا هو السيد حمادة السقال للتفاوض مع الجنرال بيجو حول حدود كل طرف وقد اتفقا على جميع الشروط المبرمة بينهما ونتيجة لذلك وُقع الاتفاق الذي عُرف بمعاهدة التافنة في 30 ماي 1837م[1].

❖ **نص المعاهدة**

عثر المؤرخ الفرنسي مارسيل إيمريت(Emrit Marcel) في ملف الأرشيف الوطني الفرنسي على الوثيقة العربية للمعاهدة وقام بنشرها في المجلة الإفريقية وهي تتضمن 15 مادة[2] :

المادة 01: اعتراف الأمير عبد القادر بسيادة فرنسا.

المادة 02 : تحتفظ فرنسا بإقليم وهران و مستغانم و أرزيو. أما في إقليم الجزائر فتحتفظ بمدينة الجزائر و ساحلها وسهل متيجة محدودا بوادي القدرة من الشرق وجبال الأطلس الصغرى جنوبا والشفة إلى جبل مزغران غربا.

المادة 03: تسيير الأمير لإقليمي وهران و التيطري.

المادة 04: ليس للأمير سلطة على المسلمين الذين يرغبون العيش في المنطقة التي تحت السيادة الفرنسية ولهم حرية الاختيار في العيش في منطقة النفوذ الفرنسي أو منطقة نفوذ الأمير.

المادة 05 : احترام الفرنسيين لحرية الدين وممارسة الشعائر الدينية للجزائريين كما يمكنهم تشييد المساجد في المناطق التي تحت الوصاية الفرنسية.

المادة 06 : تقديم الأمير للجيش الفرنسي 30000 مكيال من القمح ومثله من الشعير و 5000 رأس من الغنم حيث يكون تسليم هذه المواد في وهران على ثلاث دفعات.

المادة 07 : يمكن للأمير الحق في شراء البارود والكبريت من فرنسا.

---

[1] علي محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص 190.

[2] Emrit Marcel et Peres Henry , Le texte arabe du traité de la Tefna, Revu africaine , n94 , 1950 , P85

المادة 08 : الكراغلة الذين يريدون العيش في تلمسان لهم حرية التصرف بأملاكهم ويعامَلون كمعاملة الحضر.

المادة 09 : تتخلى فرنسا للأمير عن راشقون ، تلمسان وقلعتها ، وكل المدافع التي كانت فيها قديما ويتعهد الأمير بنقل كل الأمتعة إلى وهران.

المادة 10 : حرية التجارة بين الطرفين ويمكن لكل طرف أن يقيم مبادلة في منطقة الآخر.

المادة 11 : الاحترام المتبادل بين الطرفين وتعهد الأمير بتعويض أي خسارة للفرنسيين سببها العرب.

المادة 12 : إعادة المجرمين الفارين لكل منطقة.

المادة 13 :تعهد الأمير بعدم تسليم أي جزء من الساحل إلى أي دولة دون إذن الحكومة الفرنسية.

المادة 14 : لا تجوز المعاملات التجارية للولاية إلا في الموانئ الفرنسية.

المادة 15 : تبقي الحكومة الفرنسية على ممثلين لها في المناطق التي تحت سيطرة الأمير يعملون كوسطاء في حال حدوث خصومة بين الرعايا الفرنسيين والعرب ، ويتمتع الأمير بنفس الامتياز في المدن والموانئ الفرنسية[1].

❖ **شكل المعاهدة**

هذه المعاهدة جاءت مكتوبة على صفحتين بلا ختم ولا توقيع من طرف الأطراف الواردة أسماؤها في بداية النص (بيجو والأمير عبد القادر) وقد صيغت بالعامية إضافة إلى أنها ليست مؤرخة إلا بالتاريخ الهجري رغم أنها موقّعة من كلا الطرفين الجزائري الذي يؤرخ بالتاريخ الهجري والفرنسي الذي يؤرخ بالتاريخ الميلادي. كما

[1] شارل هنري تشرتشل ، المصدر سابق ، ص160.

ذُكر اسم الأمير دون ذكر اسم والده أو صفاته كما كان الحال في معاهدة دي ميشيل عام 1834م[1].

فهذه المعاهدة هي ترجمة للنص الفرنسي تمت كتابتها بلغة ركيكة وعامية[2] ، أما معاهدة التافنة الأصلية فكُتبت باللغتين العربية والفرنسية على صفحة واحدة حيث كُتب النص العربي على الجهة اليمنى وكُتب النص الفرنسي على الجهة اليسرى وكتب الأمير عبد القادر اسمه على القسم العربي وختم عليه بخاتم الإمارة ، كما كتب الجنرال بيجو اسمه على القسم الفرنسي وختمه بخاتمه الرسمي[3].

اشتهر الأمير عبد القادر بعلمه وفصاحة لسانه وعليه لا يمكن ان تصدر باسمه معاهدة دون التوقيع عليها فهو يعلم أنها ستُوجه إلى السلطات الفرنسية وسوف يطلع عليها العلماء والعارفين وعامة الناس حيث عُلقت نسخة من المعاهدة على أسوار مدينة الجزائر. فكل مراسلات الأمير عبد القادر سواءً إلى ملك فرنسا أو ملك بريطانيا أو حتى جنرالات فرنسا كان يكتب صفته ونسبه فكيف له أن يتنازل عن ذلك في هذه المعاهدة[4].

7- التنظيم الإداري

استغل الأمير عبد القادر مرحلة الهدوء والاستقرار التي عمت البلاد بين ماي 1837م ونوفمبر 1839م في تأسيس دولة وإنشاء مؤسساتها كما تمكن من ترسيخ مبادئ العدالة والمساواة[5].

فقد سعى الأمير إلى تجنب أخطاء الأتراك الذين جعلوا ممثليهم في الجزائر محل كراهية من طرف الأهالي، فعمل على بناء إمارة أساسها إخلاص الحاكم وثقة

---

[1] Emrit Marcel et Peres Henry Le texte arabe du traité de la Tafna, revue Africaine, n94, P87

[2] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص 162.

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص278.

[4] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، القسم الأول ، الفترة الحديثة والمعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر1988 ، ص159.

[5] إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ط3 ، الجزائر ، 2007 ، ص18.

المحكومين كما اختار راية لإمارته منذ مبايعته بالسلطة تحت شجرة الدردار في سهل غريس عام 1832م وكون نظاما للإدارة والجيش فاتصف بالبساطة و التراتبية[1].

❖ **راية الإمارة :**

كانت راية إمارة الأمير عبد القادر من الكتان الحريري أعلاها وأسفلها خضراوان وقسمها الأوسط أبيض مرسومة فيه يد مبسوطة وكُتب حولها بشكل دائري عبارة :"**نصر من الله وفتح قريب ، ناصر عبد القادر بن محي الدين**" والرسم والكتابة مطرزان باللون الذهبي[2].

❖ **المقاطعات الإدارية**

تم تأسيس إمارة الأمير عبد القادر سنة 1832م فقسم إمارته في بادئ الأمر إلى مقاطعتين أساسيتين الشرقية والغربية حيث كانت مدينة معسكر مقر المقاطعة الشرقية وتلمسان مقر المقاطعة الغربية. وقام بتعيين خليفة له على كل مقاطعة حيث ولى البوحميدي الولهاصي على تلمسان وولى على معسكر مصطفى بن أحمد التوهامي . وبعد مبايعة المناطق الشرقية له في المنطقة الممتدة من معسكر حتى وادي الشلف أنشأ مقاطعة ثالثة كان مقرها مليانة وعين على رأسها الخليفة محي الدين الصغير الذي خلفه بعد وفاته محمد بن علال القليعي. كما كان لكل مقاطعة مرسى ومنفذ للبحر. بعد ذلك قام الأمير عبد القادر بإقامة مقاطعة رابعة مقرها المدية عين عليها الخليفة محمد بن عيسى البركاني[3].

قُسمت المقاطعة الشرقية إلى سبع مقاطعات أو نواحي كما قُسمت المقاطعة الغربية إلى خمس نواحي ، وعُين على كل واحدة منها آغا حيث كانت الناحية تتكون من

---

[1] أديب حرب ، التنظيم العسكري والإداري للأمير عبد القادر ، ج2 ، دار الرائد للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 2005 ، ص39.

[2] أديب حرب ،المرجع السابق ، ج2، ص40.

[3] اسماعيل العربي ، الأمير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش ، الجزائر ، 2007، ص18.

عدة دوائر وتضم الدائرة مجموعة من القبائل تضم كل قبيلة عدة عشائر تخضع لسلطة شيخ القبيلة[1].

وفي أواسط العام 1839م أصبح عدد المقاطعات ثمان قُسمت إلى :

- **مقاطعة تلمسان:** عاصمتها تلمسان ومرفأها رشفون وولى عليها محمد البوحميدي الولهاصي حيث كان تحت إمرته 13000 مقاتلا.

- **مقاطعة معسكر** : عاصمتها معسكر ومرفأها أرزيو وولى عليها محمد بن ابي فريحة المهاجي وبعد قتله تولى عليها الحاج بن أحمد التهامي الذي جمع بين هذا المنصب ومنصب رئيس الديوان في مجلس الشورى الأعلى ووضع تحت تصرفه 15230 مقاتلا.

- **مقاطعة مليانة** : عاصمتها مليانة ومرفأها شرشال وتولى عليها محي الدين بن علال القليعي ثم احد أقربائه محمد بن علال حيث كان تحت إمرته 10440 مقاتلا.

- **مقاطعة التيطري** : عاصمتها المدية وتولى عليها أخ الأمير عبد القادر مصطفى بن محي الدين ثم عزله وولى مكانه محمد البركاني الذي جمع وحدات قتالية بلغ عددها 6830 مقاتلا.

- **مقاطعة مجانة** : عاصمتها سطيف وتولى عليها محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي القلعي وأخيرا محمد بن عمر العيساوي حيث كانت وحداتها القتالية لا تزيد عن 350 مقاتلا.

- **مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية** : عاصمتها بسكرة وتولى عليها فرحات بن سعيد ثم عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمان بن الحاج وكان جند هؤلاء الولاة 350 جنديا.

- **مقاطعة جبال القبائل الكبرى أو برج حمزة** : عاصمتها برج حمزة وتولى عليها أحمد بن سالم الدبيسي ووضع تحت قيادته جيشا بلغ قوامه 4350 مقاتلا.

---

[1] أديب حرب ، المرجع السابق، ج2 ، ص48.

- **مقاطعة الصحراء الغربية** : عاصمتها الأغواط : وتولى عليها قدور بن عبد الباقي ومعه جيش يتكون من 8380 جندي[1].

كان تعيين الخليفة يتم داخل الديوان الأميري وعند تكليفه بمهام أخرى يسلم له خاتما نُقش عليه اسمه ولقبه، إلا أن الأمير كان يستعلم عنهم جميعا في كل كبيرة وصغيرة حتى لا يقدموا على أي هفوة تمس الدولة والرعية. أما إذا مات الخليفة يُعاد ختمه إلى عاصمة الإمارة بمعسكر.

فقد كانت الأوامر تصدر عن عاصمة الإمارة إلى الخلفاء ومنهم إلى الآغاوات ثم إلى القياد ومن ثم إلى شيوخ القبائل حيث كان سعاة البريد واسطة نقل لإيصال الأوامر إلى أصحاب المناصب فيذهبون على خيولهم التي تُستبدل عند كل قبيلة في حال تعبها. فالنظام الإداري كان محكما في عهد الأمير عبد القادر الذي اعتمد على ثلاث سلطات : تنفيذية و تشريعية وقضائية.

- **السلطة التنفيذية**

تُعتبر هذه السلطة من أهم السلطات في دولة الأمير عبد القادر فقد ترأسها بعد انتخابه أميرا سنة 1832م وأصبح منذ ذلك الحين مرجعا للحكم إذ عمل على تجنب الطابع الفردي وإشراك العلماء و شيوخ القبائل في حكومة معسكر فكان من صلاحياته اختيار أعضاء حكومته من خلفاء وتشكيل الوزارة وتوزيع المناصب فقد قام بتعيين :

- **وزير الخارجية** : الحاج ميلود بن عراش.
- **وزير الداخلية** : محمد بن السعيد.
- **وزير الحربية أو الدفاع** : محمد بن الجيلالي.
- **وزير المالية العامة** : الحاج بن أبي عبد الله الجيلالي بن فريحة.
- **وزير الأوقاف** : أبي عبد الرحمان الحاج الطاهر أبي زيد[1].

[1] أديب حرب ،المرجع السابق، ج2 ، ص51-52.

➢ **السلطة التشريعية**

تداخلت معالم السلطتين التشريعية والقضائية في الأنظمة التي طبقها الأمير في إمارته وبالتالي أصبحت غير واضحة السمات.

فالسلطة التشريعية التي كان مقرها معسكر و اتخذ الأمير من القرآن والسنة وكتب المذهب المالكي دستورا لها للفصل في بعض القوانين الإدارية ، فقد كانت القضايا الرئيسية تُناقَش في المجلس التشريعي (مجلس الشورى الرئيسي والأعلى) أما القضايا الثانوية فتوزع على عدة مجالس فرعية.

فمجلس الشورى الأعلى يتكون من أحد عشر عضوا من كبار العلماء والفقهاء ، و كان يترأس المجلس نيابة عن الأمير في معسكر كبير القضاة أحمد بن الهاشمي المراجي[2].

وقد أصدر هذا المجلس عدة قوانين من بينها قانون الجيش المحمدي الذي دونه قدور بن رويلة في كتابه وشائح الكتائب. وكان هذا المجلس يوزع مناشير تشريعية على شيوخ القبائل ويراجع القضايا الصادرة عن المحاكم الأولية وكان له سجل خاص يتضمن كافة القضايا التي عُرضت عليه، وكان الأمير يحضر شخصيا جلسات المجلس الذي تصدر أحكامه باتفاق جميع أعضاءه.

كما قام الأمير بإنشاء مجالس فرعية للشورى يُعين أعضاؤها من طرف خلفاء الأمير لمعالجة الأمور المحلية وتدوينها في سجل خاص وعرضها على مجلس الشورى الأعلى في معسكر[3].

---

[1] أديب حرب ، المرجع السابق، ج2 ، ص42-43

[2] أديب حرب ، المرجع السابق، ج2 ، ص 44.

[3] إسماعيل العربي ، المقاومة الوطنية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ،ص221

➢ **السلطة القضائية**

المسؤول عن هذه السلطة هو رئيس مجلس الشورى كبير القضاة أحمد بن الهاشمي المراجي. ونظرا لأهمية جهاز القضاء في إرساء قواعد الدولة فقد اهتم الأمير بتنظيمه إذ كان القضاة المحليون يُقَسمون إلى قضاة مدنيين وقضاة عسكريين وتُخصص لهم رواتب شهرية وإضافات مالية في حال قيامهم ببعض الواجبات الخاصة. فقد كانوا يُعيَنون لسنة واحدة قابلة للتجديد شريطة اجتيازهم لامتحان الكفاءة وعدم ارتكابهم أخطاء تؤثر على جهاز القضاء.

– **القضاة المدنيون** : فرض الأمير عبد القادر على خلفائه من العلماء والفقهاء المحليين والمتميزين بالعلم والنزاهة الإفتاء في الدعاوى والفصل في الخصومات وفق المذهب المالكي.

– **القضاة العسكريون** : عين الأمير على هذا الجهاز أشرف بن مصطفى المشرفي وعين في كل كتيبة قاض يساعده مسؤولان في إصدار الأحكام وتنفيذها ، أحدهما آمر مخفر الشرطة العسكرية.

فقد انحصرت صلاحيات هؤلاء القضاة في القضايا الخاصة بالأحوال الشخصية ويمكن الطعن في أحكامها أمام مجلس الشورى بمعسكر[1].

8- التنظيم العسكري

كانت إستراتيجية الأمير عبد القادر تهدف إلى دحر الاستعمار الفرنسي وطرده خارج التراب الجزائري ثم إقامة دولة جزائرية موحدة ، ولتحقيق ذلك قام باتخاذ مجموعة من التدابير العسكرية بإنشاء جيش ينقسم إلى قسمين : جيش نظامي وجيش غير نظامي.

أ- **الجيش النظامي** : هو فرق من العسكريين الجاهزين للخدمة الفعلية في ثلاثة أجهزة (الخيالة ،العسكر المحمدي،الطوبجية) إضافة إلى الحرس الأميري[1].

[1] أديب حرب ، التنظيم الاداري والعسكري لجيش الأمير عبد القادر ، ج2 ، ص45- 46.

- **الخيالة أو الفرسان:** هم الذين يركبون الخيل حيث يتولى قيادتهم قائد يُعينه الأمير، يتولى هذا القائد تدريبهم وتجهيزهم. يتألف هذا النوع من كتائب تضم كل كتيبة ألف فارس يقودها آغا وتنقسم الكتيبة إلى مجموعة من السرايا تتألف كل سرية من خمسين فارسا يقودها سياف. والمجموعة الأخيرة من هذا النوع عبارة عن فرقة تتكون من عشرين فارس تُدعى فصيلة ويقودها رئيس صف ويساعده شاوش[2].

-**العسكر المحمدي (المشاة):** يُعين قائد هذا السلاح من طرف الأمير عبد القادر ويشرف قائد هذا السلاح على تدريبه وتنظيمه وقد تعاقب عليه عديد القادة أمثال: قدور بن محمد ، عبد القادر بن عز الدين ، محمد قوشارمة ، محمد السنوسي[3].

انقسم سلاح المشاة إلى عدة مجموعات أو كتائب تضم كل كتيبة 1000 جندي يترأسها آغا وتنقسم هذه الكتيبة إلى عشرة سرايا تتألف كل سرية (المحلة) من 100 جندي يرأسها قائد العسكر المحمدي ويساعده كاتب. تمثل الكتيبة أعلى وحدة قتالية في صنف المشاة ، عند اجتماع عدد من الكتائب تصبح قيادتها مسؤولية الخليفة أو الأمير نفسه إذا حضر[4].

- **الطوبجية (سلاح المدفعية):** يشكل هذا الجهاز القوة الثالثة في جيش الأمير عبد القادر حيث يرتكز على قطعة المدفع الذي يُديره اثنا عشر جنديا ويسمى قائد هذا السلاح (باش طوبجي)* وهو محمد آغا المعروف بابن الكسكسة الذي يشرف على تدريب العناصر والقيادة. في حالة الحرب ينقسم المدفعيون إلى مجموعتين تتكون كل

---

[1] أديب حرب ، نفسه، ص75.

[2] محفوظ قداش ، جيش الأمير عبد القادر ، تنظيمه وأهميته، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، العدد 75 ، 1983، ص60-65.

* كلمة تركية تعني رئيس المدفعية.

[3] أديب حرب ، المرجع السابق، ج2 ، ص79.

[4] جمال قنان ، دراسات في المقاومة والاستعمار ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، مطبعة المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ص47.

مجموعة من ستة عناصر (ستة يديرون المدفع وستة في الاستراحة ثم يتم التبادل) تألف هذا السلاح من 240 عنصرا يديرون عشرين مدفعا[1].

الحرس الأميري : هو مجموعة من الفرسان يبلغ عددهم خمسين جنديا يحرسون الأمير في الحل و الترحال ليلا ونهارا. كما كان يرافقه جهازان: جهاز طبي وجهاز الطنبور والموسيقى[2].

جهاز الطب العسكري : أقام الأمير عبد القادر مستشفيات متنقلة ترافق الجيش لعلاج المرضى والمصابين في المعارك حيث عين في كل مشفى أربعة أطباء يشرف عليهم طبيب بالعاصمة هو أبو عبد الله الزروالي. لم يكن الأطباء متخصصين في الطب إنما كانوا على قدر كافي من معرفة علاج الجراح وتجبير العظام أما المشرف عليهم أبو عبد الله الزروالي فكان عالما متخصصا في الطب عارفا بالأعشاب والعقاقير ، حيث قيل أنه يخرج الرصاصة من المصاب دون ان يشعر بالألم[3].

جهاز الطنبور والموسيقى : وهي وسيلة تُستعمل لرفع الروح المعنوية للجنود قبل وأثناء المعارك ، كما تُعتبر من وسائل التواصل ، حيث كان للطبل معلما يُدعى الطنبورجي وله عدة صيغ من النقرات ولكل صيغة دلالة معينة[4].

ب- الجيش غير النظامي : إلى جانب الجيش النظامي اعتمد الأمير عبد القادر على جيش غير نظامي من القبائل الموالية له حيث شكل هذا الجيش الجزء الأكبر من جيش الأمير عبد القادر فكلما دقت طبول الحرب هبت هذه القبائل لنصرة الأمير ومساندة القوات النظامية وعند انتهاء القتال تعود إلى مواطنها[5].

---

[1] جمال قنان ، المرجع السابق ، ص50.
[2] محمد العيد مطمر ، جوانب من التنظيم العسكري في دولة الأمير عبد القادر، الملتقى الثقافي ، د س ، ص48.
[3] صالح بن قبي ، النظم المدنية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر ، مجلة مسالك ، مؤسسة الأمير عبد القادر ، الجزائر ، العدد 4 ، 1999 ، ص18.
[4] جمال قنان ، المرجع السابق ، ص 51.
[5] أديب حرب ، المرجع السابق ، ج2 ، ص85.

❖ **تعداد الجيش**

من الصعب حصر تعداد جيش الأمير عبد القادر سواءً النظامي أو غير النظامي وهذا راجع لعدم توفر معطيات دقيقة إضافة إلى اختلاف المصادر ، غير أننا سنحاول إعطاء فكرة حول هذا التعداد. ففي سنة 1834م أشار دي ميشيل أن الأمير له 12000 جندي وفي أواخر السنة ذاتها ذكر المبعوث الفرنسي للأمير النقيب سانت هيبوليت أن له كتيبة نظامية بلغت ثمان آلاف جندي يدربها جندي ألماني[1].

ومع مرور السنوات بدأت قوات الأمير تزداد حتى بلغت قواته النظامية عام 1838م ثلاثة وثمانين ألف مقاتل منهم أربع وأربعون ألف مشاة وتسع وثلاثون ألف من الفرسان[2].

وفي سنة 1839م أورد روش* قائمة مفصلة لقوات الأمير عبد القادر النظامية وغير النظامية حيث بلغ عددها ثمانية وخمسون ألف وتسعمائة وستين جنديا منهم خمس آلاف وتسعمائة وستون جنديا نظاميا والبقية غير نظاميين موزعين على المقاطعات الثمانية.

كما أورد غارسان سنة 1840م أن تعداد قوات الأمير قارب العشر آلاف جنديا منهم ثمانية آلاف من المشاة والبقية يشكلون حرس الأمير.

كما كان بإمكان الأمير –حسب غارسان– استدعاء ما يزيد عن عشرين ألفا من المتطوعين ثلثهم مشاة والباقي فرسان[3].

التراتيبية والترقية

أ–**التراتيبية** : كان جيش الأمير عبد القادر مؤلفا من ضباط وصف ضباط وجنود حيث كان الضباط هم القادة الكبار (الآغا أو قائد العسكر المحمدي و السياف

---

[1] محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص20.

[2] Yever . G. correspondance du capitaine Daumas consul a Mascara .1837-1839.Alger .1912.P77

[3] عبد القادر دحدوح ، استحكامات عبد القادر العسكرية 1836 – 1842 ، دراسة تاريخية أثرية ، موقم للنشر ، الجزائر ، 2008 ، ص28.

وكاتب العسكر الكبير ومدرب العسكر والطبيب الكبير) أما صف الضباط فتمثل في رئيس الصف ونائبه والكاتب وصاحب الراية وصاحب الطبل و شاوش العسكر والطباخ. ليأتي الجنود في مؤخرة الرتب مشاة كانوا أو فرسان أو مدفعيين[1].

حيث منح الأمير علامات وشارات لقادة عسكره يتميزون بها عن غيرهم حيث كانت موزعة كالآتي:

الآغا (قائد العسكر) : وله أربع علامات من الذهب اثنتان منهما على منكبيه مكتوب على إحداهما "**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله**" **وكتوب على الأخرى**"**الصبر مفتاح النصر**" واثنتان على صدره على شكل قمر مكتوب على اليمنى "**لا إله إلا الله** " وعلى اليسرى "**محمد رسول الله صل الله عليه وسلم**".

رئيس الخيالة :يتميز بعلامتين من الذهب إحداهما على منكبه الأيمن مكتوب عليها "**الخيل معقودة بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**" والأخرى على صدره مكتوب عليها "**محمد** ".

رئيس المائة (السياف) : له علامتان من الفضة على شكل سيف يضعهما على عضديه.

رئيس الطوبجية (رئيس المدفعية) : يتميز بعلامة من الفضة على كتفه الأيمن تحمل صورة مدفع مكتوب عليها "**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**".

سياف الخيالة : يتميز بعلامة فضية على عضده الأيسر مكتوب عليها "أيها المقاتل احمل تغنم".

في حين أن رئيس الأطباء ومدرب العسكر هما من الضباط لكن ليس لهما علامة.

أما ضباط الصف وهم أقل مرتبة من الضباط كانت لهم أيضا علامات خاصة بهم :

---

[1] جمال قنان ، المرجع السابق ، ص46.

* ليون روش : جاسوس فرنسي ولد عام 1810م وتوفي في 1910م ، دخل الجزائر عام 1832م وأشهر إسلامه والتحق بخدمة الأمير عبد القادر.

رئيس الصف : له علامة واحدة من الفضة توضع على عضده الأيمن مكتوب عليها " من أطاع رئيسه واتقى مولاه نال ما يرجوه ويتمناه".

خليفة رئيس الصف : يختص بعلامة من اللف الأحمر يضعها على ساعده الأيمن تميزه عن الجنود.

الشاوش: يختص بعلامة من الجوخ الأحمر على ساعده الأيمن. أما القادة الآخرون كرئيس المدفع ونائبه وكاتب المدفعية وأطباء الوحدات المقاتلة والطنبورجي ليس لهم علامات إلا الألبسة المخصصة.

الجنود : لم تكن لهم علامة مميزة عدا عن تميزهم عن سائر القادة باللباس حيث ارتدى المشاة كسوة الشايق الأزرق والأسود ، وجنود الخيالة بكسوة العكري من اللف أما المدفعيين فليست لهم أية علامة[1].

ب-الترقية: تخضع الترقية في جيش الأمير عبد القادر النظامي إلى الشروط التالية: لا ينال الترقية إلا من كان ذا صفات حميدة وبعد موافقة الأمير.

لا ينال الترقية إلى رتبة أعلى إلا إذا مر على الرتب الأدنى فمثلا لا يرقى الجندي إلى سياف إلا بعد ترقيته عبر مختلف الرتب الأصغر ولا يعفى من هذا الشرط إلا من حاز على وسام الشيعة المحمدية* الذي يعطيه الأمير لمن يظهر شجاعة نادرة و إقدام منقطع النظير في الحرب[2].

9- مصادر الأسلحة والذخيرة

كان الأمير عبد القادر يدرك ان تكوين جيش وضمان ألبسته ومؤنه ومرتباته غير كاف لمجابهة العدو بل لابد من تزويده بالأسلحة التي لا غنى عنها في المعارك من أجل الدفاع عن الوطن ومقدساته. لكن تسليح جيش كامل ليس بالأمر السهل بل

* الشيعة المحمدية : عبارة عن وسام من الذهب أو الفضة على شكل يد ممدودة كتب في وسطها عبارة ناصر الدين

[1] قدور بن رويلة ، وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي نقد وتح. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر،1968م ، ص46.

[2] قدور بن رويلة ، نفسه، ص56.

يتطلب جهودا كبيرة لتوفير الأسلحة حيث اعتمد في سبيل ذلك على عدة مصادر أهمها الشراء والتهريب إضافة إلى الغنائم والهدايا والمساعدات و الصناعة[1].

أ- **الشراء والتهريب** : تنص معاهدة دي ميشيل سنة 1834م في أحد بنودها على السماح للأمير بشراء أسلحة من فرنسا وهو ما قام به فعلا حيث اشترى حوالي 400 بندقية حربية كما استلم في نفس السنة 1110 بندقية من أصل 1200 بندقية إضافة إلى كمية كبيرة من الذخيرة[2].

كما نصت معاهدة التافنة الموقَعة سنة 1837م في أحد بنودها على إمكانية شراء الأمير للأسلحة (بنادق ، بارود ، كبريت ...) من فرنسا[3]. كما ذكر الأمير نفسه أن الكبريت كان يأتيه من فرنسا وأن المدن الساحلية كانت تمده بالرصاص في وقت السلم الذي أعقب معاهدتي التافنة ودي ميشيل[4].

بالإضافة إلى كل ذلك كان الأمير يشتري الأسلحة من المغرب الأقصى وإنجلترا والأسواق المحلية التي كانت حافلة بالأسلحة المصنوعة في تونس أو أولاد سيدي الشيخ*.

كما كان التهريب من أهم مصادر الأمير عبد القادر في تسليح الجيش حيث استعمل الأمير مجموعة من التجار المغاربة كالحاج الطالب بن جلول الذي قال عنه دوماس بأنه الشخصية التي كانت تزود الأمير عبد القادر بالأسلحة من المغرب وهو الذي ربط العلاقة في جبل طارق مع تاجر يهودي يدعى ابن آسي. كما أقام الأمير علاقة تجارية مع الإنجليز بواسطة السينيور مانوتشي[5].

---

[1] بدر الدين بن شعباني ، أسلحة الأمير عبد القادر ، مذكرة ماجيستير ، قسم الآثار ، الجزائر ، 2009 ، ص100.

[2] محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص52.

[3] الكولونيل سكوت ، مذكرات الكلونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص203.

[4] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص141.

[5] اسماعيل العربي ، المرجع السابق ،ج2،

فقد كانت هذه الأسلحة تصل إلى الموانئ المغربية عبر جبل طارق ثم إلى فاس ومنها إلى تلمسان ثم معسكر و تاقدامت. فكان المهربون يستعملون العديد من الحيل لإدخال وتهريب الأسلحة كوضعها في سلال مغطاة بالسميد وغير ذلك لتفلت من الرقابة[1].

ويتحدث دوماس بأن الحاج الطالب بن جلول قد أرسل للأمير 400 بارودة إنجليزية بحرابها و 300 سيف و 20 حمولة من الكبريت و 15 حمولة أخرى من ملح البارود[2].

كما يشهد إيمريت بأن السيوف والخناجر و أخشاب البنادق كانت تأتي في القوافل التجارية من فاس وتوزع في تلمسان كما أرسل السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان 4 مدافع إلى الأمير عبد القادر[3].

ب- الغنائم : خاض الأمير عبد القادر العديد من المعارك حيث انتصر في بعضها وانهزم في البعض الآخر حيث كان يغنم الغنائم في حال الانتصارات والتي هي عبارة على أسلحة ففي معركة المقطع الشهيرة عام 1835م غنم الأمير ما لا يقل عن 4 مدافع و 20 عربة لنقل المؤن كما هو الحال في معركة سيدي يعقوب وغيرها من المعارك[4].

جـ- الهدايا والمساعدات : كانت الهدايا والمساعدات من بين مصادر الأمير عبد القادر في التسليح حيث كانت القبائل الموالية له تقدم له مساعدات من الأسلحة

---

[1] Yevr .G.op-cit .P150

[2] Yevr .G., Abdelkader et le Maroc en 1838 , in revue Africain, n° 6.1919.P103

[2] Yever .G. Correspondance op-cit . P373

[4] يحيى بوعزيز ، بطل الكفاح الأمير عبد القادر ، نشر وتوزيع المكتبة الشرقية ، تونس ، 1957، ص55.

وغيرها كما كان سلطان المغرب أيضا يساعده. وتذكر المصادر أنه عندما تمت بيعته جاءته القبائل محملة بالهدايا من عتاق الخيل والسروج والأسلحة الفاخرة[1].

وتذكر المصادر ان السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان أهدى للأمير عبد القادر 100 بندقية وكمية معتبرة من السيوف والذخيرة عام 1833م بمناسبة بيعته. كما أهداه سبع فراس من عتاق الخيل بسروجها عام 1837م و أربعة مدافع وستين فارس ومساعدات مالية قدرها عشرة آلاف مثقال من الذهب للحاج الطالب بن جلول ليشتري بها الأمير ما يحتاجه من العتاد الحربي[2].

وفي سنة 1838م تلقى الأمير من المغرب حمولة قدرها 160 قنطار من البارود و 1500 بندقية انجليزية الصنع وأربعة مدافع كما أهدى له السلطان المغربي عام 1841م حوالي ألف بندقية وأطنان من البارود[3].

كما أهدى الجنرال دي ميشيل للأمير 100 بندقية بعد عقد معاهدة 1834م و أهدته الحكومة الفرنسية أسلحة و أقمشة وبرية مطرزة بالذهب بعد عقد معاهدة التافنة[4].

د- الصناعة : لم تكن الغنائم والمساعدات كافية لسد حاجيات جيش الأمير الحربية فقام بجلب خبراء أجانب من جنسيات مختلفة وكلفهم باكتشاف المعادن والمناجم و إنشاء المصانع فانقسمت صناعة الأمير إلى قسمين مراكز استخراج المواد الأولية ومراكز التصنيع.

مراكز استخراج المواد الأولية: استغل الأمير المناجم وما تحتويه من معادن في عدة أماكن فقد اكتشف أن المنطقة تحتوي على كميات كبيرة من الرصاص في جبال جنوب شرق تازة كما كانت هذه الجبال تزخر بالكبريت وملح البارود كما أكتُشف معدن النحاس على طريق مليانة.

---

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ،ص165.

[2] P.Azan . L'émir Abdelkader , sa vie politique et militaire, Paris . P373

[3] الكولونيل سكوت ، المرجع السابق ، ص70.

[4] محمد بن عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ، ص182.

كما عثر الخبير دي كاس على معدن الحديد أسفل قاعدة جبل زكار قرب مليانة كما تم استخراج معدن الرصاص من جبال الونشريس[1].

مراكز الصناعة : بعد اكتشاف المناجم وما تزخر به من معادن رأى الأمير أنه من الضرورة إنشاء مصانع تعمل على تحويل هذه المعادن إلى أداة حربية حيث تعددت المصانع في عدة مناطق:

تلمسان : أنشأ الأمير مصهرة للحديد ومطحنة للبارود حيث كانت المدافع تُصنع في تلمسان. فقد استطاع أحد العاملين استحداث رحى للبارود تُدار بالماء ليس لها نظير حتى في البلاد الأوروبية. كان يقوم بهذه الأشغال في تلمسان مجموعة من العمال الأجانب نذكر منهم حميدو واسمه الحقيقي جسنبر نجير الميونيخي ومصطفى البروسي والدون خوسيه ذو الأصول الإسبانية[2].

مليانة : أقام بها الخبير دوكاس مصنعا للبنادق وآخر للبارود ، فقد أكد دوكاس ان الناس رأوا عشرة عمال فرنسيين جاؤوا من مدينة الجزائر ويوجد منهم من يصنع الأسلحة ويصهر الحديد[3].

معسكر : يذكر دوماس أن الأمير أنشا مصنعا للخراطيش وأخشاب البنادق في معسكر ويُعتبر صناعه من امهر الصناع إذ كانوا يرممون بقية المصانع[4].

تاقدامت : أنشأ الأمير عبد القادر مصنعا للبنادق وجلب له خبيرا فرنسيا يقوم بتعليم الجزائريين صناعة الأسلحة إذ تعلم هؤلاء الجزائريون مهنة التصنيع حيث عملوا على تصنيع الحراب والسيوف والأسلحة الثقيلة[5].

---

[1] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص 142.
[2] يوهان كارل برنت ، المصدر السابق، ص175.
[3] Yevr .G. Correspondance , op-cit,P339
[4] كارل يوهان برينت ، المصدر السابق، ص332.
[5] أديب حرب ، المرجع السابق، ج2 ، ص90.

المبحث الثاني: عوامل ضعف مقاومة الأمير عبد القادر

1- سقوط عاصمة الأمير عبد القادر

لسنوات عديدة طارد بيجو الحاكم الفرنسي العام الأمير عبد القادر والقبائل الموالية له مما أدى إلى سقوط معظم عواصم الأمير. كما عملت السلطات الفرنسية على استمالة القبائل المناوئة له والتي امتنعت عن مساعدته ، إذ كانت تمنح لشيوخها الهدايا والمساعدات المالية مقابل تزويدها بمعلومات عن مواقع وتنقلات الأمير وعاصمته الزمالة[1].

حيث كانت القيادة الفرنسية تحث جنودها على الاستيلاء على أملاك الجزائريين ونهب أرزاقهم كما شكلت ثلاث فيالق لمتابعة ومراقبة تحركات الأمير بالتعاون مع بعض القبائل المتواطئة مع الاستعمار طمعا في مكاسب مالية أو سياسية . توجه الفيلق الأول نحو الظهرة الشرقية بالونشريس بقيادة الجنرال بيجو شخصيا، كما توجه الفيلق الثاني نحو إقليم التيطري بقيادة الدوق دومال*(Duc D'aumale). أما الفيلق الثالث فقاده الجنرال لامورسيير نحو معسكر لمراقبة الأمير[2].

علم الدوق دومال(Duc D'aumale) أن الجنرال لامورسيير(Lamoricière) لا يمكنه المشاركة في هذه العملية لأن الأمير تحرك رفقة كتيبة من فرسانه نحو معسكر بعد أن قام بترحيل بني هاشم الغرابة نحو زمالته. ولهذا أُمر الجنرال لامورسيير(Lamoricière) بالتوجه نحو بني هاشم الغرابة وقطع الطريق على الأمير. مما جعل الدوق دومال(Duc D'aumale) يعدَل في خطته ويعتمد فقط على

* الدوق دومال: الولد الرابع للملك لويس فيليب ولد سنة 1822م عُين حاكما عاما للجزائر خلفا للجنرال بيجو ، توفي سنة 1897م ، أنظر عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق ، ص 19.

[1] أحمد بوزيان ، تيارات من آل رستم إلى الأمير عبد القادر ، ط1، دار المدار الثقافية ، البليدة ، 2013 ، ص262.

[2] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص237

قواته في حال المواجهة مع القوات الجزائرية كما اعتمد على جواسيسه من قبائل أولاد بوعشيش وأولاد عياد في رصد تحركات الأمير[1].

لم يتنقل الأمير رفقة الزمالة بل بقي مع قواته ينتظر قدوم الجنرال لامورسيير(Lamoricière) حتى يلهيه ويمكّن الزمالة من التوغل أكثر جنوبا ، وقد اتخذ خليفته محمد بن علال نفس الإجراء على رأس فيلق من الجند النظاميين في الونشريس[2].

بتاريخ 14 ماي 1843م وصلت القوات الفرنسية لمنطقة كوجيلة حيث اكتُشف موقع الزمالة من طرف أحد الجواسيس (عمر العيادي) بعين طاقين جنوب تيارت وهي منطقة ذات أهمية كبيرة في الربط بين الشمال والجنوب[3].

و بتاريخ 16 ماي 1843م وقعت زمالة الأمير عبد القادر تحت سيطرة القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال(Duc D'aumale) ، حيث كان بها أكثر من 200000 شخص بمختلف دوائرها وأسرت القوات الفرنسية ما لا يقل عن 3000 شخص إضافة إلى أُسر كبار قادة الأمير باستثناء عائلته التي تمكنت من الفرار إلى الصحراء. نُهبت المواشي ومخازن الأسلحة والأموال التي كانت في خزينة الزمالة كما تم السطو على أموال وممتلكات سكانها . خلفت هذه الكارثة أضرار مادية ومعنوية على مقاومة الأمير الذي كان غائبا عن الزمالة يوم سقوطها.

يقول تشرتشل "...**وملأ الجنود الفرنسيين أكياسهم بالدولارات والقطع الذهبية الكبيرة وحشوا جرارهم بالمجوهرات والماس** ...". بينما لم يتلق الفرنسيون خسائر معتبرة حيث ورد في التقرير الرسمي الفرنسي أن الجيش الفرنسي خسر تسعة قتلى و 12 جريح و 16 حصان[4].

---

[1] بن يوسف التلمساني ، سقوط زمالة الأمير عبد القادر وتراجع نفوذها في السهوب الوسطى ، 1843-1846 ، ص187.

[2] بن يوسف التلمساني ، المرجع السابق ، ص188.

[3] Anonyme, Rapport sur la Parise du Smahla ,1843, sans edition ,op-cit P9

[4] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص276.

كان سقوط الزمالة مفاجئا ودون سابق إنذار حيث اتبع الفرنسيون أسلوب التمويه والخداع ما مكنهم من ارتكاب هذه المجزرة. مثّل هذا الحدث بداية النهاية لمقاومة الأمير عبد القادر إذ تسبب في انخفاض الروح المعنوية لدى المقاتلين إضافة إلى خسائر مادية معتبرة أدت إلى نقص في الإمكانيات المادية للمقاومة.

2- القبائل المتمردة على الأمير عبد القادر

تكونت دولة الأمير عبد القادر من مجموعة من القبائل يختلف فيما بينها من مؤيد ومعارض له. وأهم هذه القبائل نذكر :

أ- **قبائل المخزن** : هي القبائل التي تتحالف مع الحكام وتتعاون معهم في تحصيل الضرائب والحفاظ على الأمن مقابل إعفائها من الضرائب[1] ، فهي عبارة عن تجمعات سكنية متمايزة في أصولها ومختلفة في أعرافها. فقبائل المخزن لا تقطن المدن وإنما في الأرياف والبوادي على الطرق السلطانية (طرق تربط دار السلطان بباقي البوايلك)[2]. من هذا المنطلق ارتبطت مصالح هذه القبائل بخدمة الحكومة التركية[3].

كما تمركزت القبائل المخزنية بين البايلك الغربي ومدنه في مناطق هامة للإدارة العثمانية كالأبراج والحصون والقلاع[4]. فكانت كل قبيلة تجهز شبابها من نعومة أظافرهم حتى إذا بلغ الواحد منهم سن السادسة عشرة مُنح فرسا وسلاحا وخرج رفقة جيش الباي وهو ما يزيد في تعداد الجنود سنويا[5].

في عام 1833م وجه الأمير عبد القادر دعوة إلى مختلف القبائل (المتواجدة في الصحراء أو التل) لحضور اجتماع هام بمدينة معسكر ، غير ان قبائل المخزن

---

[1] عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص 95.
[2] دلندة الأرقش و آخرون ، المغرب العربي الحديث ، مركز النشر الجامعي ، 2003، ص44.
[3] ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2 ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 ، ص100.
[4] محمد الخداري ، بلاد المغرب تحت الحكم العثماني ، 2013، ص44
[5] ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 192 – 1830 ، ط3 ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2012 ،ص245.

رفضت هذه الدعوة كون الأمير جردهم من امتيازاتهم وأقر مبدأ المساواة بين أفراد الرعية[1] وهو الأمر الذي جعلهم ينتفضون على الأمير ويبحثون على وصاية اخرى فاتصلوا بالسلطان المغربي أولا غير أنه رفض عرضهم. وبعد تزايد ضغط الأمير عليهم طلبوا العون من الحكومة الفرنسية مقابل تجنيدهم لخدمة السلطات الفرنسية في المنطقة ، لتخضع هذه القبائل للوصاية الفرنسية منذ ذلك التاريخ[2].

ب- قبائل الزمالة والدوائر: نشأت هذه القبائل في العهد التركي فهي خليط من العرب والبرابرة الذين احتموا بالباي محمد الكبير حاكم معسكر وفاتح وهران من الإسبان.

ازدادت شعبية هاتين القبيلتين بقبولهما لكل من رغب في الانضمام إليهما والخدمة تحت لوائهما ما جعل أعدادهما تتزايد. بعد الفتح الثاني لوهران من طرف الباي محمد الكبير انتقلتا إلى وهران ومُنحت لهما أرض خصبة و تقلد العديد من أفرادهما مناصب سامية في حكومة وهران ما جعل القبيلتين تحضيان بامتيازات عن باقي القبائل[3].

في بداية فترة إقامة القبيلتين في وهران لم يكن لهما الحق في ملكية الأراضي وتوريثها بل كان لهما حق الاستغلال فقط. لكن مع بداية القرن 18م أصبح للقبيلتين عقود ملكية موثقة عند قاضي المدينة وصار لهما حرية البيع والشراء و التوريث. وعلى هذا الأساس سيطرت القبيلتان على ثلاثة أرباع السهول الوهرانية[4].

كانت قبيلتي الزمالة والدوائر تابعتان لنظام بايلك الغرب تقوم بخدمته وحماية الأهالي فهي ذات طابع ريفي ومهامها إدارية وواجباتها عسكرية استقرت بجانب الأسواق

---

[1] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص61.
2 ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1830م – 1920م ، المرجع السابق ، ص409.
3 محمد بن الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 160.
4 محمد بن الأمير عبد القادر ، نفسه، ص 160.

والمخازن وبالقرب من الخوانق الجبلية والممرات الوعرة حيث عملت على تثبيت الحكم العثماني في الجزائر عموما و بايلك الغرب خصوصا[1].

تُعتبر قبائل الدوائر والزمالة القوة الأساسية للإدارة التركية في الأرياف والمناطق الخارجية حيث قامت بدعم السلطة وبقائها من خلال الحفاظ على الأمن وجمع الضرائب مقابل إعفائها من الضرائب. فتحولت مع مرور الوقت إلى أداة لبسط نفوذ البايلك وتأكيد سلطته وهمزة وصل بين البايلك وقبائل المنطقة[2].

بعد نزول الفرنسيين أرض الجزائر توجهت أنظارهم نحو وهران لاحتلالها ومن خلال الضعف الذي ظهر على الحامية التركية استنجد باي وهران بالشيخ محي الدين ، وبعد استشارة هذا الأخير لقبيلة بني هاشم رفض تقديم المساعدة تجنبا للخلاف مع بايلك الغرب[3].

بعد مبايعة الأمير عبد القادر الذي تحمل مسؤولية الدفاع عن الدين والوطن واتخذ من معسكر عاصمة له أرسل إلى القبائل يدعوهم إلى الوحدة كما أوقف زحف الفرنسيين نحو المدن الغربية بفضل شجاعته وحنكته في التخطيط للمعارك. كما عمل على تحقيق المساواة بين مختلف فئات المجتمع فألغى الامتيازات التي لدى قبائل الزمالة والدوائر وهو الأمر الذي لم يعجب قادة القبيلتين الذين تعودوا على احتقار العرب. فبايعوه مكرهين بسبب حسن معاملته لهم، وظل مصطفى بن إسماعيل يضمر الحقد للأمير بل وأرسل للجنرال دي ميشيل في وهران يعلمه بالعداوة مع الأمير[4].

---

1 كميلة دغموش ، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792 ، مذكرة ماجيستير ، جامعة وهران ، 2014،ص98.

[2] ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1830م – 1920م ، المرجع السابق ، ص344.

[3] سليمان عشراتي ، الأمير عبد القادر السياسي ، ط3، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2009،ص68.

[4]عبد القادر بلغيث ، الحياة السياسية و الاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014 ، ص84

عملت قبائل الزمالة والدوائر على التقرب من الفرنسيين وإعلان موقفهما المعادي للأمير وهذا بعد توقيع المعاهدة بين الجنرال تريزيل ومصطفى بن إسماعيل[1]. حيث استفادت السلطات الفرنسية من خدمة فرسان القبيلتين نظرا لمعرفتهم الجيدة بتضاريس المنطقة فاستعملتهم للقضاء على المقاومة الشعبية وتفرقة أبناء الأرض الواحدة. كما شارك فرسان هاتين القبيلتين في معركة المقطع حيث كانوا في طليعة جيش الجنرال تريزيل[2].

3- التفوق العسكري للقوات الفرنسية

كان كل الجنرالات الفرنسيين الذين واجهوا الأمير عبد القادر على علم بقلة قواته مقارنة بقواتهم حيث كان أغلب مقاتلي جيش الأمير من المتطوعين ولم يتعد تعدادهم ثلث الجيوش الفرنسية في أغلب المواجهات وتناقص هذا العدد في السنوات الأخير حتى صار لا يقارن مع عدد القوات الفرنسية بسبب نقص التموين و شح الإمدادات خصوصا بعد سقوط الزمالة. فرغم محاولات الأمير المتكررة لإقامة جيش منظم إلا أنه فشل بسبب نقص الوعي الوطني وعدم الانسجام الاجتماعي.

و يتجلى هذا التفوق العسكري للجيش الفرنسي من خلال تجهيزه عددا هائلا من الجنود للقيام بمهمات صغيرة فقد وصف أحد الضباط الفرنسيين هذه الحالة قائلا: "**لقد احتجنا إلى أربع أو خمس آلاف جندي لتصلنا بعض صناديق البسكويت أو نقل رسالة**".

وعندما شن لامورسيير (Lamoricière) الحرب على منطقة صغيرة بالوادي المالح ، كان على رأس 4500 جندي مدججين بأحدث الأسلحة والمدافع كما خرج الجنرال بيجو على رأس جيش يتجاوز ثلاثين ألف جندي لمحاربة ما لا يزيد عن 2000

[1] ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود ، 2000، ص235.

[2] آغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا ، ج2 ، ص136، تح ودراسة يحيى بوعزيز ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990.

فارس في الجبال المحيطة بمدينة الجزائر. لقد تجاوز عدد الجنود الفرنسيين في الجزائر سنة 1843م الـ100 الف جندي ، كان معظمهم مخصصا للحرب على الأمير عبد القادر[1].

4- سياسة "فرق تسد" الفرنسية اتجاه الشعب الجزائري

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني في الجزائر الذي كان يميز بعض القبائل دون الأخرى كما فعل مع قبائل المخزن وقبائل الزمالة والدوائر وهو الأمر الذي استغلته فرنسا لصالحها بتسليح هذه القبائل ومنحها امتيازات مما أجج روح العداوة بينها وبين بقية القبائل[2].

كما عملت السلطات الفرنسية على استخدام بعض المعارضين الجزائريين لخدمة مصالح فرنسا والقضاء على المقاومة الوطنية حيث أصبح هؤلاء المعارضين تحت الرقابة الفرنسية[3]. فقد اعتمد الجنرال بيجو (Peugeot) سنة 1841م على هذه السياسة من خلال إنشاء مكاتب عربية تكون عبارة عن حلقة وصل بين المستوطنين الذي وطئوا أرض الجزائر منذ 1830م والأهالي المحليين[4]. كما قامت السلطة الفرنسية بمراقبة الزوايا و القادة الروحيين.

من خلال هذه الإجراءات كانت السلطة الفرنسية تهدف إلى إخضاع القبائل وترسيخ فكرة الجزائر الفرنسية[5].

---

[1] رامي سيدي محمد ، قراءة في أسباب فشل المقاومات الشعبية في طرد الاحتلال ، مجلة قضايا تاريخية ، تلمسان ، العدد 7 ، 2017 ، ص7.

[2] W.Estiray , notice historique sur le Maghzen d'Oran , typographie de Berrier , Paris , 1849 , P233-234

[3] Ch. Ajulien , Histoire d'Algérie contemporaine conquête et colonisation 1827-1871, P231-232

[4] F. Hugonnet , Souvenirs d'un chef de bureau arabe , Paris ,1858, P5

[5] صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص73.

كانت فرنسا تهدف من خلال سياسة فرق تسد التي انتهجتها إلى تفتيت وحدة القيادات الأهلية حتى لا تشكل خطرا عليها مستقبلا حيث اعتُبرت هذه السياسة إحدى أهم الركائز التي رسخت النظام الفرنسي في الجزائر[1].

انعدم النظام و عمت الفوضى بين الجزائريين في ظل هذه السياسة كما انتشرت العداوات والفتن وهو الوضع المثالي والأرضية الخصبة التي ينمو عليها الاستعمار.

كتب الجنرال بيجو : " **إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة يُعد وسيلة هامة لتحديد مواقع المقاومة وهو ما يمكننا من حصارهم**". فكُلف هؤلاء الأعوان بمراقبة عناصر المقاومة و تحركاتهم ومراقبة الأشخاص التحرريين الذين ينشرون الأفكار الوطنية ويزرعون روح العداوة لفرنسا[2].

اعترف الجنرال بيجو وأشاد بدور فرسان الدوائر والزمالة في مساعدة الجيش الفرنسي وترسيخ السلطة الفرنسية في الغرب الجزائري كما أشاد بالمساعدات التي قدمها مصطفى بن إسماعيل من مؤن ومعلومات تخدم القوات الفرنسية[3].

كان غرض فرنسا من خلال هذه السياسة هو ضرب وحدة القبائل والأفراد وتأجيج الفرقة بين أفراد الشعب الواحد والقضاء على جهود الأمير عبد القادر في توحيد الصف الوطني. كل هذه الإجراءات ساعدت على ترسيخ الاستعمار في الجزائر وأدت إلى خلق روح من العداوة بين أفراد شعبها حيث منحت فرنسا امتيازات لبعض الفئات من الشعب (وعود كاذبة أو هدايا) وهمشت البقية وفرضت عليهم عقوبات صارمة[4].

---

[1] يحيى بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 ، ص11.

[2] R. Germain , La politique indigéne du Bugeaud , ed Larousse , Paris 1955 , P287

[3] سلاماتي عبد القادر ، سياسة فرق تسد في تحطيم المجتمع الجزائري1832-1847 ، الساورة ، الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، العدد 5 ، ص38

[4] شارل هنري تشرتشل ، المصدر السابق ، ص211.

5- سياسة الأرض المحروقة

اشتد الصراع بين القوات الفرنسية وقوات الأمير عبد القادر ما جعل فرنسا تتخذ إجراءات جديدة لمجابهته والقضاء على مقاومته ومصادر تموينها . هذه الإجراءات تمثلت في إتباع سياسة الأرض المحروقة لتجويع الشعب الجزائري وإنهاك اقتصاده، فقامت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال بواييه في 05 ماي 1841م بحرق أكواخ رأس العين بوهران[1] ، بينما اعتدت قوات الجنرال دي ميشيل(Desmichels) على قبيلة الزمالة قرب طفراوي لترهيبها وإخضاعها[2].

كما خرجت من العاصمة حامية عسكرية مكونة من 3000 جندي بقيادة المقدم لامورسييه يوم 04 جانفي 1845م وشرعت في حرق القرى و المداشر في طريقها مرورا بالدويرة و بوفاريك وصولا إلى الشفة وغابة بورومي حتى حدود متيجة ، كتب المقدم لامورسييه فيما بعد : "رحنا نحرق الدواوير وقتل كل من نصادف من الرجال ثم نعود إلى العاصمة فرحين بما قمنا ونصدر بيانا يرفع من شأننا"[3].

انتهج الجنرال بيجو أيضا هذه السياسة عند حلوله كحاكم عام للجزائر حيث قام بتجنيد قوة عسكرية قوامها 83000 جندي عام 1842م ووجها نحو الغرب الجزائري حيث استولت على معسكر و تادميت وسعيدة والمدية وتلمسان كما سقطت الزمالة يوم 16 ماي 1843م كنتيجة لهذه السياسة[4].

اعتبر بيجو أن سياسة الأرض المحروقة هي إحدى سياسات الاحتلال ووسائله حيث قام بنهب الأراضي ومنحها للمعمرين والحكومة الفرنسية أما الجزء الباقي من الاراضي فقد تم حرقه[5].

---

[1]Derrien , les Français a Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours , P33

[2]Derrien , même référence , P35 2

[3] E. Kaller , le général La Morciere sa vie militaire politique et religieuse , Paris , 1874 , P223

[4]عمار عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر ، دار ريحانة ، الجزائر 2002 ، ص 138.

[5] محمد عيساوي ، الجرائم الفرنسية أثناء الحكم العسكري 1830 – 1871 ، مؤسسة شطيبي ، الجزائر 2005 ، ص152

وصرح بيجو قائلا:" **إن عبور الجبال ومحاربة سكانها أمر ضروري لذلك يجب تدمير مصالحهم بقطع الأشجار المثمرة وحرق المحاصيل وإفراغ المخازن واختطاف النساء والأطفال ومصادرة المواشي هي الطريقة الوحيدة لاستسلامهم**"[1].

فقامت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بيجو بحرق القبائل المتواجدة جنوب مليانة واختطفت نساءها وأطفالها كما صادرت مواشيها[2].

كما هاجمت القوات الفرنسية في شهر أفريل 1844م بحرق ونهب كل الحقول في المنطقة بين وهران و مستغانم التي كانت تموَن أفراد مقاومة الأمير حيث وصف أحد المشاركين في هذه العمليات قائلا :"**منذ انطلاق الحملة إلى يومنا هذا خُربت الكثير من القرى الآمنة ودُمرت الكثير من المحاصيل**" . وقام الرائد بيسون رفقة 500 جندي فرنسي بتخريب الحقول ونهب الماشية كما قام بتخريب حقول القبائل المجاورة لجبال بني مناصر وقتل كل من حاول التصدي لهذه الأعمال[3].

هدفت كل هذه الإجراءات إلى ترهيب الشعب الجزائري وتجويعه وإبعاده عن احتضان المقاومة لكي يتسنى له بسط نفوذه وسيطرته على الجزائر فقد طبق الفرنسيون هذه الإجراءات أينما حلوا.

6- احتلال مدينتي وجدة و لالة مغنية

بعد سقوط عاصمة الأمير عبد القادر واستشهاد خليفته محمد بن علال كان مضطرا إلى اللجوء إلى المغرب قاصدا في ذلك حسن الجوار وكونه تلقى مساعدات سابقا غير أن السلطان المغربي المولى عبد الرحمان امتنع عن مساعدته هذه المرة بسبب المشاكل الداخلية التي يتخبط فيها خصوصا ثورة الشعب عليه باستثناء أنه آمنه على

[1]P.Azen , Bugeaud et l'Algérie ed Maginot , Paris 1930 , P117

[2] محمد عيساوي ، المرجع السابق ، ص155

[3]R. Demont , Histoire de la Conquet de l'Algerie de 1830 -1847, op-cit , P188-191

نفسه واتخذ الأمير من وجدة مُستقرا له، وهناك قام بإخضاع القبائل الثائرة على السلطان الذي عينه أميرا عليها[1].

لم يعجب هذا التقارب بين الأمير والسلطان المغربي السلطات الفرنسية التي عمدت لزرع الفتنة بينهما بهدف كسر هذا التحالف.

لم تنجح محاولات الفرنسيين في زرع الفتنة بين السلطان المغربي والأمير عبد القادر كما رفض السلطان طلبهم في طرد الأمير عبد القادر من أراضيه فشرعوا في نشر قواتهم في ضواحي لالة مغنية* بقيادة الجنرال لامورسيير وهو الأمر الذي اعتبره السلطان اعتداء على حدود مملكته. تقدم القائد العسكري لمعسكر وجدة مطالبا الفرنسيين بالجلاء ووجه له الجنرال بيجو إنذارا من إيواء الأمير عبد القادر. لم يجد هذا الإنذار آذانا صاغية من المغاربة وهو ما عجل بدخول المغرب في مواجهة عسكرية مع فرنسا.

واصلت فرنسا زحفها على الأراضي المغربية لإجبار السلطان عن التخلي على الأمير عبد القادر كما أرسلت الحكومة الفرنسية قطعة من أسطولها تتكون من 28 بارجة حربية إلى الساحل المغربي بقيادة الجنرال جوانفيل لدعم مطالب الفرنسيين[2].

تفاوض القائد العسكري المغربي بوسلهام بن علي مع السلطان وطالبه بالكف عن إيواء الأمير عبد القادر لأن الفرنسيين ضيقوا الخناق على المغاربة فقد قُصفت مدينة طنجة يوم 06 أوت 1844م وهو الأمر الذي أثار هلعا في صفوف السكان[3] ، كما قُصفت الصويرة يوم 11 أوت بعنف وأصبح الإنزال أمرا متوَقعا[4].

---

[1] فتحي دردار ، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847 ، الجزائر 2001 ، ص56.

[2] عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1989 ، ص71.

[3] إسماعيل حمت ، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر ، تق وتر ، علي تابليت وآخرون ، دار أبي قراق ، الرباط 2010 ، ص71.

[4] مصطفى ، الأمير عبد القادر سجين فرنسا ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر 2013 ، ص44.

*لالة مغنية : مرابطة عُرفت بورعها وتقواها أُقيم لها ضريح في المكان نفسه .

بتدهور العلاقات الفرانكو مغربية وبضغط من الأهالي أرسل السلطان قوة عسكرية بقيادة ابنه محمد الذي أقام معسكرا في وادي أسيلي جنوب وجدة يوم 13 أوت 1844م. حذر الأمير عبد القادر نجل السلطان من خطورة الوضع وعدم تكافئ الموازين بينه وبين القوات الفرنسية بقوله : "**إن هذه الفرش والأثاث الذي جئتم به ووضعتموها على باب جيش العدو ليس منها أي شيء ومهما نسيتم فلا تنسوا أن تلاقوا العدو وأنتم متحملون بحيث لا يبق لكم خباء مضروب على الأرض لم ينته دون الوصول**" لكن ابن السلطان لم يستمع لما قاله الأمير واشتبك مع الجنرال بيجو(Peugeot) وقواته المتكونة من 11000 جندي مدعومة بأحسن الأسلحة وأفضل تنظيم وانتهت هذه المعركة التي سُميت فيما بعد بمعركة اليوم الواحد بهزيمة كارثية للقوات المغربية[1]، بهذه الهزيمة ضاع آخر آمال الجزائريين في الانتصار على الفرنسيين ووقع المغرب نفسه في القبضة الفرنسية.

كانت هذه الهزيمة سببا في اتساع نفوذ فرنسا في المنطقة واتساع مستعمراتها في منطقة شمال افريقيا[2].

كما سببت هذه الهزيمة أزمة اقتصادية خانقة على الحكومة المغربية بسبب امتناع الدول عن دفع الضرائب و تنازل المغرب عن جزء كبير من مياهه الإقليمية. كل هذه الضغوطات جعلت السلطان المغربي يتخلى عن الأمير عبد القادر ويعتبره خارجا عن القانون ووقع معاهدة صلح مع الفرنسيين في 10 سبتمبر 1844م وبذلك

---

[1]Henry Charles , la bataille d'Isly (14 Aoute 1844) , Paris 1895, P96

[2] شارل أندري جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار 1827 – 1830 ، تر. جمال فاطمي ، دار الأمة الجزائرية، ج1 ، ص355.

كانت سنة 1844م هي سنة نهاية العلاقة بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي[1].

[1] الحسن اليوحي ، المغرب والجزائر ومواقفهما في الزحف الاستعماري في عهد السلطان المولى عبد الرحمان و الأمير عبد القادر الجزائري في النصف الاول من القرن 19 م ، مجلة دعوة الحق ، الرباط 2016 ، ص100.

المبحث الثالث: آراء حول مقاومة الأمير عبد القادر

اهتم الكثير من الجنرالات الفرنسيين العسكريين في الجزائر خلال فترة الاحتلال بوصف حياتهم العسكرية من خلال إرسال العديد من الرسائل تبرز الأعمال التي قاموا بها. اخترنا في هذا المبحث رسائل كل من المارشال سانت أرنو والكولونيل سكوت نموذجا.

المطلب الأول: مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل سانت أرنو

1- التعريف بشخصية سانت أرنو

هو المارشال (جاك لوروا دو سان أرنو) ولد بباريس سنة 1798م ، أتم دراسته في ثانوية نابليون، وفي عام 1816م انضم إلى فئة الحراس الشخصيين، ثم عين كملازم ثاني في فيلق الإدارات في كورسيكا، في سنة 1831م كان مرافقا للجنرال بيجو في جميع عملياته العسكرية في أوروبا، وفي عام 1836م أُرسل إلى إفريقيا (الجزائر تحديدا) في الفيلق الأجنبي[1]. عند وصوله إليها شارك في العديد من الحملات العسكرية على مدينة قسنطينة سنة 1837م[2]. توفي في باريس سنة 1854م.

2- التعريف بالكتاب ومحتواه Lettres du maréchal de Saint-Arnaud

الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي أرسلها سانت أرنو إلى عائلته وأقاربه وأصدقائه، وقد جمعت هذه الرسائل من طرف سانت باف في شكل كتاب من جزئين تحت عنوان:

« **Lettres du maréchal de saint –Arnaud1832-1854** » ونشر هذا من قبل دار النشر **Michal Lévy frères libraires**، صدر عام 1855م بباريس ويتكون من 416 صفحة. تُرجم الكتاب من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية من طرف عبد

[1] Saint- Armande de Leroy. Lettres du Marechal de saint –Armand 1832-، 1854 ,Michel Levy .freres Libraires , deuxieme edition, paris, p4.

[2] سانت أرنو ، مذكرات المارشال سانت أرنو 1832-1841 ، ج 1، تر. ، عبد القدر ليف، دار المعرفة، الجزائر 2013،ص137.

القادر ليفا و بداه المهدي ، وطبع في دار النشر " **دار المهدي**" بالجزائر سنة 2013م تحت عنوان "**مذكرات المارشال سانت أرنو**"، لكن المؤلف قام بترجمة الجزء الأول فقط، دون الثاني. تجدر الإشارة إلى أن الترجمة إلى اللغة العربية ترجمة غير صحيحة فالعنوان في النسخة الأصلية هو رسائل "lettres" وفي العربية تحت عنوان "مذكرات".

3- مقاومة الأمير عبد القدر من خلال رسائل سانت أرنو

ورد في رسائل سانت أرنو العديد من المقاومات الشعبية التي كانت ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر كمقاومة الأمير عبد القادر حيث تحدث سانت أرنو عن كافة تفاصيلها على غرار معاهدة التافنة وعلاقة الأمير مع القبائل وشيوخها والسياسة العسكرية للسلطة الفرنسية الهادفة إلى مطاردته وصولا إلى انهيار مقاومته.

4- علاقة الأمير عبد القادر مع القبائل المعادية من خلال رسائل سانت أرنو

بعد إلغاء الامتيازات التي كانت بعض القبائل تتمتع بها كقبائل المخزن وبني مديان وعكرمة وغيرها أبدت هاته القبائل استعدادا تاما لخدمة المصالح الاستعمارية على حساب المصلحة الوطنية كما فعل سيدي العربي زعيم قبيلة فليتة الذي حشد مقاتليه ضد قوات الأمير غير أن هذا الأخير باغته بجيش قوامه 5000 جندي مما أدى إلى اعتراف سيدي العربي بسيادة الأمير وتقديم الولاء له[1].

كان هدف الأمير عبد القادر من هذه الحملات التأديبية هو توحيد القبائل تحت راية واحدة فقد أدرك أن نجاح المقاومة قائم على توحيد القبائل بالقوة أحيانا والإقناع أحيانا أخرى فكان يراقب جميع القبائل ويرصد مواقفها وتحركاتها لئلا تحيد عن دعوته. ويروي سانت أرنو قائلا : "**هزم الأمير عبد القادر جميع القبائل المعادية له وأجبر شيوخها على الولاء والطاعة...**" كما تعجب سانت أرنو من معاداة هذه

[1] غانم محمد ، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الأسطوغرافيا المغاربية التقليدية ، مجلة الدراسات التاريخية ، الجزائر ، العدد8 ،1993 ، ص42.

القبائل للأمير ووصف موقفها بالسخيف حيث أطلق عليها القبائل الصديقة إذ يتعين على السلطات الفرنسية حمايتها كونها تخدم مصالحها[1].

كما تحدث سانت أرنو في رسائله عن جماعة الكراغلة المتموقعين في منطقة وادي الزيتون ناحية تلمسان والذين لم يعترفوا بسلطة الأمير عبد القادر بل تخوفوا من زعامته واقتنعوا أن مصالحهم تكمن في التقرب من الفرنسيين بعدما رفض السلطان المغربي العروض المقدمة له من طرفهم ، فعرضوا خدماتهم على السلطة الفرنسية التي استعملتهم في الإغارة على القبائل الموالية للأمير عبد القادر[2].

بين سانت أرنو أن علاقة هذه القبائل مع الأمير عبد القادر كانت قائمة على المصلحة فقط ، فقد كان شيوخ وقادة هذه القبائل يجتمعون حول الأمير طمعا بالغنائم في حال الانتصار أما في حال هزيمته كانوا يرفضون الطاعة ويفتعلون المشاكل ويطلبون الحماية من السلطة الفرنسية[3].

5- معاهدة التافنة من خلال رسائل سانت أرنو

وُقعت هذه المعاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو في 30 ماي 1937م بعد مفاوضات طويلة دارت بينهما فقد أراد الجنرال بيجو عقد الصلح ورد عليه الأمير قائلا : "**إنني أشد الناس رغبة في الصلح وأشدهم بغضا لسفك الدماء**" فكتب كل منهما شروطه وتوصلا إلى حل وسط يرضي الطرفين[4].

حيث جاء في بنود هذه المعاهدة ما يلي :

- يعترف الأمير بسلطة فرنسا على مدينتي الجزائر ووهران.
- تعترف فرنسا بسلطة الأمير على إقليمي وهران و التيطري.
- يدفع الأمير للفرنسيين مقدارا من الحبوب و ثلاثة آلاف رأس من الغنم.

---

[1] سانت أرنو ن المصدر السابق ، ص 137.
[2] سانت أرنو ، نفسه، ص 150.
[3] سانت أرنو ، المصدر السابق ، ص150.
[4] سانت أرنو ،نفسه، ص 184.

- يُسمح للكراغلة بالاستيطان في أي موقع يريدونه مع حرية التصرف في أملاكهم[1].

وقد تحدث سانت أرنو في رسائله عن توسعات الأمير عبد القادر وقوته العسكرية التي تزايدت جراء هذه المعاهدة وذكر أن الأمير يزداد قوة وتوسعا باستيلائه على عين ماضي مدعَما بمدافع الحصار التي حصل عليها بعد المعاهدة كما تحصل أيضا على آلاف البنادق وكمية ضخمة من البارود[2].

اقتنع الأمير أن هذه المعاهدة ستعود عليه بالنفع فسارع إلى توقيعها بعد استشارة قادة جيوشه وزعماء قبائله رغم يقينه بمحدودية زمنها حيث قُدر في المعاهدة بعشر سنوات فأنشأ مخازن الأسلحة وتلمسان والمدية و مليانة وأعاد تنظيم جيشه كما أقام علاقات طيبة مع شيوخ القبائل المعارضة له وقام بغزو القبائل الصحراوية بعد استيلائه على عين ماضي[3].

نقض الفرنسيون هذه الهدنة متذرعين برفض الأمير عبد القادر التنازل عن بعض الأراضي لصالحهم كما أخذت الصحافة الفرنسية تضغط على الحكومة لإلغائها نهائيا و الاستعداد للحرب من خلال الهجوم على حصن حمزة الذي كان سانت أرنو نفسه متحمسا لاقتحامه وهذا ما يُعتبر اعترافا ضمنيا بأن الفرنسيين هم من نقضوا الهدنة[4].

6- السياسة العسكرية الفرنسية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر

من خلال رسائل سانت أرنو بدا جليا السياسة الاستعمارية للحكومة الفرنسية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر القائمة على مطاردة جيشه واستعمال الإبادة على الأهالي والقبائل الموالية له.

---

[1] سانت أرنو ، نفسه ، ص 137.
[2] محمد بن عبد القادر الجزائري ، مصدر سابق ، ص197.
[3] يوهان بيرنت ، المرجع السابق ، ص142-143.
[4] سانت أرنو، المصدر السابق ، ص 172.

حيث اعتمد الفرنسيون على جيوش ضخمة وأسلحة ثقيلة في حرب إبادة لا هوادة فيها وهو ما مكنهم من احتلال معظم مدن الأمير (المدية ، مليانة ، معسكر ، تلمسان ...).

كما قام سانت أرنو رفقة الزواف بحرق اثنتي عشر قبيلة بضواحي البليدة حيث ذكر أنه أثناء زحفه على قبائل سنجاس : "**لم أترك شجرة قائمة في البستان كان كل هذا من أوامر شانغراني**"[1].

وفي سنة 1841م دُمرت بوغار واحتُلت مستغانم ومعسكر معقل الأمير حيث صرح سانت أرنو بالمجازر التي ارتكبها رفقة جنوده وجنود الجنرال كلوزيل في معسكر كما صرح بتحويل المسجد الكبير إلى مستشفى وقتلهم لأزيد من 200 شخص كما استولوا على المحاصيل وقطعان الماشية[2].

تواصلت السياسة القمعية للحكومة الفرنسية حيث دُمرت قرى و مداشر كثيرة منها الضفة الغربية لمليانة وحرق قرية حميدة فلم يستطع أحد إيقاف الجيش الفرنسي[3].

كما قام جنرالات فرنسا حسب سانت أرنو ببناء مراكز ومعسكرات في المدن المحتلة لكي تتمكن من مواصلة زحفها وبسط نفوذها على المناطق الأخرى كمعسكرات بُنيت في مدن حسين داي و مليانة وواد فضة ومدينة معسكر.

---

[1] حرشوش كريمة ، المرجع السابق ، ص177.
[2] سانت أرنو ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص58.
[3] سانت أرنو ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص135.

المطلب الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر من خلال مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير

1- التعريف بالكولونيل " سكوت " ورحلته

هو ضابط بريطاني الأصل يؤمن بحق الشعوب في الحرية والكرامة، لذلك انضم الى جانب المتحررين ضد الملكيين في إسبانيا ، في الحرب الدائرة بين سنوات 1833م-1834م ، ولكنه سُرح من الخدمة بسبب الإصابة ، إلا أنه بقي مصرا على دعمه للمقهورين حول العالم ، ووقع اختياره على الأمير عبد القادر عن طريق ابن قنصل ايطاليا "مانتشو" ببنزرت أواخر 1840 م، الذي كان قائما بأعمال الأمير هناك ، وعرض عليه أن يكون سكوت قائدا لأركان حرب الأمير[1]، ومن هناك بدأت رحلته من تطوان إلى تلمسان ومنها زمالة الأمير عبد القادر الجزائري[2].

2- رحلة الكولونيل سكوت (Colonel Scott)

قدم من مدريد إلى تطوان في 26 فيفري1841م كان من المفروض أن يكون مستشارا عسكريا للأمير ، ولكنه وجده أكثر من عسكري فهو مفكر سياسي ، لذلك قرر أن يجعل مقر عمله في القيادة المركزية بتاقدمت ، ثم في الزمالة ، كما عينه كسفير له **بأوروبا** يمثله في مختلف القضايا[3].

3- وصف نشاط الأمير في إمارته من منظور "سكوت"

❖ صفاته الخلقية والعملية مع أهله وعامة الناس

تعددت صفات الأمير بشهادة الأجنبي قبل القريب وتناقلت هاته الصفات عبر الأجيال ، مما يدل على صدق قول ما أورده صاحب المذكرات الكولونيل سكوت.

---

[1] زبير بن سخري ، صورة المجتمع المغاربي في رحلة الكولونيل سكوت ، مجلة الموقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 12 ،2017 ،ص130.

[2] سكوت ، مذكرات الكولونيل سكوت أثناء إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841، تر إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية و للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981 ، ص41.

[3] سكوت ، مصدر سابق ، ص19.

مهارة وذكاء الأمير مكنته من أن يكون له جواسيس في البلدات التي فقد سيطرته عليه ، حيث أُخبر يوم 21 يونيو 1841 م بأن الفرنسيين يردون الهجوم عليه على الساعة الثانية صباحا ، الأمر الذي مكن الأمير من أخذ احتياطاته وتغيير موقع تمركز الجيش ، وعند تحرك قوات الاحتلال يوم 26 يونيو 1841م ، للقبض عليه ورصد جائزة بقيمة 100.000 فرنك لمن يقبض عليه حيا أو ميتا ، ولكنهم رجعوا وهم يجرون أذيال الهزيمة[1]. كما أنه ليس محبا للسلطة وهذا ما قاله عنه هنري تشرشل:" إنني لم أتول المسؤولية بمحض الطموح أو الرغبة في السلطة والجاه أو حبا في ثروات الحياة الدنيا ولكن لأحارب في سبيل الله ، ولأحقن دماء المسلمين وأحمي أملاكهم "[2] ، كما كان يتميز بالتواضع وهذا ما أكسبه مهابة ووقار لدى عموم القبائل التي بايعته بالإمارة ، حيث يقول سكوت :" تواضع الأمير أمام الناس مهما كانت منزلتهم فيتقاطرون عليه ويقدمون له مساهمات مختلفة من دولارات قصد إعالة نفسه وعائلته وهو لا يقبل الهدايا أبدا إلا إذا كانت سلاحا ومتى قُدمت له هدية عينية أمر ببيعها ووضع ريحها في خزينة الدولة لمواجهة تكاليف الحرب كما كان يتصف بالسماحة وعدم معاقبة من يشتمه أو يخالفه الرأي ومنها أنه في 21 أكتوبر 1841م جاء شخص للأمير وبدأ في السب والشتم وكان يصفه بأوصاف مخجلة منها "الكافر" والأمير يبتسم وأمر بأن يقدم له شيء من الطعام كما كان يقدر ظروف الأجانب حيث سمح للكولونيل سكوت بتناول طعامه بشكل عادي رغم أن المسلمين في شهر الصيام[3]. كان متدينا محافظا على شعائره الدينية ، و كان يثق في بعض الأجانب ثقة عمياء أدت إلى خيانته في نهاية الأمر ، ومن بين هؤلاء ليون روش (Léon Roche) الذي آواه وأدخله في أسراره وزوجه من ابنة حاكم تلمسان ، ثم

[1] سكوت ، المصدر سابق ، ص124-125
[2] شارل هنري تشرشل ،المصدر السابق، ص156
[3] شارل هنري تشرشل ،نفس المصدر، ص168

هرب إلى وهران ، بعد اكتشاف تخابره مع الفرنسيين ، يقول "سكوت" حملتُ الأمير المسؤولية وقلت له :"**من يخون بلده لا يعقل أن يخدم وطنا أخر بإخلاص**" .

❖ معاملته للأسرى

لقد كان يعاملهم حسبما تقتضيه الشريعة الإسلامية فهو يعاملهم معالة حسنة وهذه شهادة يوثقها سكوت في مذكراته قائلا :"**معاملته للأسرى تبعث على الرضا والارتياح ، إذ حرم على جنوده قطع رأس أي أسير، وهذا ما يثبت زيف التقارير التي تزعم بأنهم لا يتلقون أي رعاية ، أو عناية من العرب**".

❖ فرض الأمن والنظام العام

من أجل إقامة نظام سياسي كان عليه أن يفرض النظام والهدوء والأمن على الجنود والقبائل، لتحقيق أهدافه ، حيث جاء في مذكرات سكوت:"**أن الأمير فرض الأمن والنظام العام على مختلف مستويات الجنود**".

❖ انضباط الجنود

لقد جعل الأمير جنوده أداة عمل ونشاط ومسارعة للاستشهاد، لأنهم تربوا على الانضباط والكفاءة في العمل حيث يقول صاحب المذكرات:"... **إن الدين الإسلامي ضمن لهم الجنة ، وهذه العقيدة تدفع بالمسلمين إلى الرغبة في الاستشهاد ، وهي التي سمحت بأن تجمع في وقت قصير جيشا كبيرا**"[1].

❖ محاربته لظاهرة السرقة

تتواجد هاته الظاهرة في كل المجتمعات ولكن تنتشر أو تنحصر من مجتمع إلى أخر حسب الظروف المعيشية ، وقد حاربها الأمير قصد استعادة الأمن والاستقرار في ربوع المملكة وهذا ما بينه الكولونيل سكوت في مذكراته بأن الأمير عبد القادر من القادة الذين عملوا على نشر الأمن والهدوء ، وذلك بفضل ما كان يتميز به من

[1] سكوت، المصدر السابق ،ص 110

كفاءة يقول :"... **إن كفاءة الأمير تظهر أيضا في إقرار الأمن فإن الجميع يحبون السلطان عبد القادر ويحترمونه ، أما اللصوص يفزعون منه أشد الفزع لأنه ينفذ الأحكام دون إضاعة الوقت في إجراءات المحاكمة...**".

❖ معاقبة الأمير للقبائل الخائنة

عُرف عن الأمير أنه لم يتردد للحظة في تنفيذ الأحكام التي من شأنها إعادة الأمن والهدوء و الاستقرار سواء بالنسبة للقبائل المخالفة أو المتعاونة أو الأفراد ممن يثبت إدانتهم بالسرقة أو غيرها مما يستوجب العقاب ، و مما جاء به الكولونيل سكوت :"**اجتمع السلطان باثنين من قبيلة هوارة (قبيلة اللص المشنوق) ، فقد عثر على رسائل يحملانها إلى الجنرال قائد حامية معسكر ، فأصدر الأمير أمرا بضرب رأسيهما في عين المكان.**

❖ معاقبة الأمير لمانعي الزكاة

أمر الأمير بمعاقبة مانعي الزكاة باعتبارها فريضة الله وهي حق الفقراء على الأغنياء وبالتالي لا تهاون في جمعها ، والأمثلة التي سردها **سكوت** بشأن معاقبة القبائل مانعي الزكاة خير دليل على أن الأمير لم يتهاون في تطبيقه ، حيث سرد في مذكراته أن الأمير يقوم بحملات تأديبية في حق القبيلة المانعة للزكاة كمصادرة ممتلكات مانعيها وتغريمهم بأضعاف قيمة الزكاة.

❖ اهتمام الأمير بالتصنيع العسكري

عمد الأمير خلال حربه ضد المستعمر إلى إنشاء مصنع للأسلحة ، حيث أنشأ مصنعا للأسلحة ، وآخر للمدافع وكلف خبيرا اسبانيا يسمى "دون خوسيه" بإدارته وقد أنتج هذا المصنع حتى يوم 18 أفريل 1841م من 04 إلى 06 أرطال من القذائف المصنوعة من النحاس ، وأثبت للأمير أنه صانع ماهر[1] ، كما وجه اهتمامه للهياكل الإدارية فأنشأ دار الحكومة وأخرى لصناعة الأسلحة بتاقدمت وهذا ما أورده لنا

[1] سكوت ،المصدر السابق، ص 140.

سكوت :"...**وصلنا تاقدمت يوم 08 ماي1841م ، وجدنا في استقبالنا حاكمها عبد القادر بوشليجة ووجدنا بها دار الحكومة ودار لصناعة الأسلحة ، هذه الأخيرة أنشأها خبير فرنسي استقدمه الأمير من باريس على أساس عقد يقضي من خلاله تعليم العرب وتدريبهم على استعمال الأسلحة ، لكن عدم استقرار الأمير في منطقة واحدة وتنقله من مكان لأخر جعل تحقيق مشروعه "مصنع أسلحة" غير مكتمل...**".

❖ قتال الأمير للفرنسيين

الحرب بين الأمير والفرنسيين كانت سجالا ، إذ كثيرا ما كان يواجههم الند للند رغم نقص الإمكانيات أحيانا ولاسيما في الفترة 1839م-1843م فكثيرا ما جرعهم هزائم نكراء واضطرهم لإبرام معاهدات منها" دي ميشال" و"التافنة" وينقل لنا سكوت بعض مما عاشه:"...**في 06 من شهر ماي 1841م، تلقينا خبرا مفاده أن العرب استولوا على قافلة عسكرية متجهة من الجزائر نحو البليدة وتتكون من 17 بغلا و11 فرسا و17 أسيرا و117 رأسا من الماشية**" كلها أُحضرت للأمير ، وبفضل خبرة وذكاء الأمير ألحق خسائر كبيرة بالجيش الفرنسي من حيث العدة والعتاد وهذا بشهادة الكولونيل **سكوت** أنه في ديسمبر 1841م لم يبق الجيش الفرنسي صالحا للعمل في الميدان حسب تصريح الجنرال **بيجو** وزير الحربية 4000 مقاتل. ونظرا للخسائر المتكبدة اضطرت السلطات لطلب الصلح مع الأمير هذا الأخير رفض ذلك بحجة نقلها سكوت قائلا:" **أخبرت أن السلطان غير مستعد لقبول أية شروط للصلح ما لم تشمل إجلاء الفرنسيين عن جميع التراب الوطني باستثناء مدينة الجزائر و وهران**". وكتب الأمير إلى المارشال "بيجو" يبلغه أنه بإمكانه الاستيلاء على كل المدن الجزائرية الخاضعة تحت سلطة الأمير، لكن هذا لن يثنيني عن شن حرب على الفرنسيين حتى السقوط في ميدان الشرف أو يتخلى الفرنسيون عن

الجزائر[1]. و هاته المقاومة من طرف الأمير نالت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء لما أبرزه من سياسة وحنكة عسكرية ودبلوماسية عالية.

❖ علاقة الأمير الخارجية بالمغرب الأقصى

أثناء فترة القتال بين الفرنسيين والأمير كانت الجبهة الغربية الوحيدة التي يمكن أن تساعده بحكم أن المملكة المغربية كانت مستقلة والحدود مفتوحة ومن صور التضامن بين المملكة المغربية و المقاومة الجزائرية ضد فرنسا أن السلطان عبد الرحمان ساعد الأمير وقدم له البارود والبنادق و الثياب والألبسة العسكرية ، في المقابل بادله الأمير الهدايا. لكن لم يبق الحال على حاله وتغيرت الأوضاع وساءت الأحوال وخلت الساحة لفرنسا التي استطاعت القضاء على المقاومة .

[1] سكوت، المصدر السابق ، ص90.

الفصل الرابع:

عوامل القوة و الضعف في مقاومة الحاج أحمد باي

المبحث الأول : عوامل قوة مقاومة الحاج أحمد باي

شارك أحمد باي بمقاومة الاحتلال الفرنسي منذ نزول قوات هذا الأخير بشاطئ سيدي فرج، إلا أن سقوط عاصمة الإيالة جعلته يعود أدراجه إلى قسنطينة عاصمة بايلكه، و ذلك لتأكده من المساعي الفرنسية الرامية إلى التوسع نحو كل مناطق الوطن. و لهذا قام الحاج أحمد باي بتنظيم صفوف المقاومة في الجهة الشرقية، وقد ساعده في ذلك عدة عوامل أدت إلى استمرار و صمود مقاومته مدة ثمانية عشر (18) سنة، و بالرغم من الهزائم التي ألحقها الحاج أحمد باي بقوات الجيش الفرنسي، إلا أنه لم ينجح في دحر قوات الاحتلال خارج الوطن أو على الأقل وقف زحف هذا الأخير. و هذا نتيجة لعدة أسباب و ظروف ، والتي سوف نتطرق إليها في هذا الفصل.

1- الموقع الفلكي و الجغرافي لبايلك قسنطينة

ينفرد إقليم الشرق الجزائري بمميزات هامة أهلته كي يحظى باهتمام النظام العثماني و التونسي مثلما كان محل اهتمام من طرف الأنظمة الأوروبية. فهو يعد من أكثر الأقاليم الجزائرية ثروة و خصوبة و أوسعها مساحة[1]، و يشمل الشرق الجزائري الرقعة الجغرافية الواسعة التي كانت تمثل بايلك الشرق أو بايلك قسنطينة.

يقع بايلك الشرق في القسم الأوسط من شمال إفريقيا، حيث يمتد على شكل مستطيل غير منتظم وينحصر بين خطي طول °21- °30 و °8-°35شرق خط غرينتش وبين دائرتي عرض °37-34 شمال خط الاستواء. و عن الحدود الجغرافية لبايلك الشرق حسب ما أورده العنتري:« أن الرقعة تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف، في حوض ريغ ، وايغرغر جنوبا ، و من الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة و برج حمزة(البويرة)

[1] عميراوي أحميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث ، 2002، ص 12.

وسفوح جبال جرجرة غربا »[1] و هذا ما أكده الزهار في قوله « يمتد من الشرق من عمالة تونس حتى وطن حمزة (البويرة) غربا الذي ينتمي إلى عمالة قسنطينة»[2]. ويتراوح ارتفاعه على مستوى سطح البحر مابين 470 م إلى 621 م و هذا ما جعله إقليما متميزا[3].

و هذا ما أكدته دراسات كثيرة سابقة لرحالة حاولوا من خلالها تعيين حدود هذا الإقليم حيث وضع الدكتور شو (shaw) خلال القرن الثامن عشر خريطة وضح عليها معالم و حدود بايلك قسنطينة حيث بين أن هذا الإقليم كان يمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة 58 فرسخ (232 كم)، و من الشرق إلى الغرب مسافة 98 فرسخ (380 كم)[4].

2- التضاريس

إن شساعة مساحة إقليم بايلك الشرق الجزائري جعلته يتألف من عدة تضاريس متباينة يغلب عليها الطابع الجبلي حسب كتابات العنتري[5] و هذا ما أدى إلى اختلاف و تنوع مناخه. و ينقسم بايلك قسنطينة من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاثة (03) أقسام :

أ- المنطقة الساحلية:

تتألف هذه المنطقة من سلاسل جبلية تمتد من الشمال إلى الجنوب على طول الشريط الساحلي من القالة شرقا إلى غاية بجاية غربا. حيث تكون هذه السلاسل أكثر ارتفاعا في الجهة الغربية مقارنة بالجهة الشرقية ، و هذا ما يفسر انخفاض قمة السلاسل في نفس

[1] كشرود حسان، بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونيل و دي فونتين و الدكتور توماس شو، مجلة قضايا تاريخية العدد 6، 2017، ص45-ص65.
[2] أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق، ص 48.
[3] محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة- دراسة جغرافية العمران-، د.ج، د.ط، الجزائر، 1984، ص 14.
[4] عميراوي احميدة ، المرجع السابق ، ص15.
[5] كشرود حسان ، المرجع السابق.

الاتجاه[1]. و نذكر منها جبال البابور (2004م) ، جبال القل (1183 م) ، جبال الايدوغ (827 م) ، جبال بني صالح و القالة (659 م)[2].

تتخل هذه الكتل الجبلية عدة سهول خصبة تكون واسعة في الجهة الشرقية مثل سهول منطقة مدينة عنابة ، و ضيقة حتى تكاد تنعدم في منطقة جيجل و بجاية. أما المناخ فهو يتميز بصيف حار وجاف و شتاء ممطر و معتدل الحرارة ، يقدر معدل مستوى تساقط الأمطار بين 600 ملم و1000ملم سنويا.

ب- المنطقة الوسطى- منطقة الهضاب-:

تتكون من جبال الأطلس و تمتد هذه الجبال بين السلاسل الجبلية الساحلية و السلاسل الجبلية في الجنوب. و تكون على شكل هضاب واسعة منبسطة الأطراف يتراوح علوها مابين (900 م- 1000م) و تكون أكثر ارتفاعا باتجاه الشرق. و تتألف من إقليمين تفصل بينهما مدينة قسنطينة إقليم شرقي و يمتد حتى الحدود التونسية و إقليم غربي حتى جبال البيبان ، و تعرف الجهات الشمالية لهذين الإقليمين بالتل و الجنوبية بالسباخ و الشطوط[3]. و تتميز هذه المنطقة بمناخ شبه قاري مع شتاء بارد وصيف حار قليل الرطوبة مقارنة بالمنطقة الساحلية ، يقدر مستوى تساقط الأمطار ما بين 350 ملم و 600 ملم سنويا[4].

جـ- المنطقة شبه صحراوية:

تتكون من سلاسل جبلية متصلة طولها 700 كم تمتد من الفجيج غربا حتى إقليم الزاب شرقا ابتداءً من جبال الحضنة التي تطل على الهضاب العليا وصولا إلى كتلة جبال الأوراس و التي تنتمي إلى سلسلة الأطلس الكبير، و تعتبر حدا شماليا للصحراء. يبلغ متوسط

---

[1] بوضرساية بوعزة ، الحاج أحمد في الشرق الجزائري- رجل دولة و مقاوم 1830-1848 ، المرجع السابق ، ص21.

[2] فلة قشاعي ، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771م- 1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر، 1990، ص3.

[3] محمد الهادي العروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د.ت، ص 12.

[4] علي أحمد غانم، الجغرافيا المناخية، دار المسيرة للنشر،2003، ص 12.

ارتفاعها من 1200 م إلى غاية 1400 م[1]. يسودها المناخ الصحراوي خصوصا على السفوح الجبلية حيث يمتاز هذا الأخير بصيف حار و جاف و شتاء دافئ نهارا و شديد البرودة ليلا مع ندرة في تساقط الأمطار حيث يقدر مستوى تساقط الأمطار ما بين 50 ملم و 300 ملم سنويا[2].

3- الكثافة السكانية لبايلك قسنطينة

رغم قلة الدراسات التاريخية التي تناولت موضوع عدد سكان بايلك قسنطينة ، إلا أنها اتسمت بشيء من المبالغة ، حيث يتجلى في قول دي بيليسيي: "إن عدد سكان إقليم الشرق أواخر العهد العثماني بلغ المليون و نصف المليون نسمة". في حين قال حسونة الدغيس:" ان عدد سكان الإقليم بلغ أربعة ملايين و ثمانمائة ألف نسمة". بينما صرح ياكونو (Yacono) قائلا:" إن عدد سكان الجزائر كلها لم يتعدى ثلاثة ملايين". و لكن رأي حمدان خوجة كان مخالفا حيث قال:" أن عدد سكان الجزائر كلها لم يتعدى عشرة ملايين نسمة". من خلال هذه الإحصائيات توصل التميمي عبد الجليل إلى أن تعداد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون و مائة وواحد و ثلاثين ألف نسمة". و تمثل نسبة سكان المدن من 10% إلى 20% من التعداد الإجمالي. و كان رأيه مبنيا على رأي أحد المعاصرين لأواخر العهد العثماني[3].

4- تمسك أحمد باي بعنابة - مقاومة أحمد باي وحليفه بلقاسم بن يعقوب (1832م-1837م)

أدى سقوط مدينة عنابة على يد القوات الفرنسية أواخر مارس ومطلع أفريل 1832م إلى حدوث القطيعة بين الحاج أحمد باي والفرنسيين ، نظرا لأهمية المدينة في بايلك الشرق إذ

---

[1] كشرود حسان ، المرجع السابق.
[2] علي أحمد غانم ، المرجع السابق ، ص 15.
[3] عميراوي احميدة ، المرجع السابق، ص 19-21

بعد سقوط المدينة ووضع مينائها تحت السيطرة الفرنسية أصبحت مبادلات البايلك تتم عبر تونس الأمر الذي أدى إلى زيادة التكاليف والأعباء على التجار والنبلاء.

كما أدى سقوط عنابة إلى فقدان الرقابة والسيطرة على العديد من القبائل التي تواطأت مع قوات الاحتلال مما جعل جيش أحمد باي يحارب على عدة جبهات في المنطقة الشرقية خصوصا بعد اندلاع حركات عصيان وتمرد في أنحاء متفرقة في الإقليم.

بعد انقلاب فرحات بن سعيد على أحمد باي أرسل هذا الأخير رسالة إلى قائد جيشه بن عيسى يوم 04 أفريل 1832م يأمره بالتوجه إلى قسنطينة لإخماد نيران هذا التمرد. الأمر الذي خيب أمل سكان عنابة في الحملة الدفاعية لأحمد باي على المدينة[1].

و بعد قضاء الحاج أحمد باي على معظم المؤامرات التي كانت تحاك ضده استقر حكمه داخل عاصمته قسنطينة و هذا ما ساعده على استرجاع هيبته و مكانته بين الأعيان ، مما أدى بالسلطات الفرنسية إلى الحرص على بناء علاقات دبلوماسية معه و ذلك عن طريق بعث المراسلات معه مرة ثانية . حاول الدوق دو روفيغو(Duc De Rovigo) حمل أحمد باي على الاستسلام عن طريق تسليمه رسالة بواسطة حمدان خوجة مفادها طلب استسلامه –الحاج أحمد باي– للسلطات الفرنسية مع دفع مبلغ ثلاثة ملايين فرنك للخسائر الحربية التي تسبب فيها ضد القوات الفرنسية و القبائل الموالية لهم مع التزامه بما كان يدفعه من اللزمة في عهد الداي حسين مقابل اعتراف القوات الفرنسية به كحاكم على إقليم الشرق الجزائري[2]. و بعد عودة أحمد باي إلى مجلسه للتشاور اشترط على الفرنسيين الانسحاب من عنابة مع دفع اللزمة و تعيين قنصل فرنسي لهذه المدينة. و كرد على هذه الشروط قررت السلطات الفرنسية تخفيض قيمة اللزمة المفروضة على أحمد باي مع اشتراط تنصيب

[1] بورمضان عبد القادر، بورغدة رمضان، المقاومات الشعبية للاستعمار الفرنسي بناحية عنابة 1832م-1852م، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، مجلد07 ، العدد 4 ،2022، ص541-565

[2] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد في الشرق الجزائري- رجل دولة و مقاوم 1830-1848م ،المرجع السابق،ص 129.

حاميات فرنسية بعنابة و قسنطينة مع إبقاء الميناء تحت نفوذ السلطات الفرنسية مما أدى إلى رفض أحمد باي لهذه المطالب و الشروط المفروضة من قبل السلطات الفرنسية[1].

و كرد على رفض أحمد باي و إخمادا لنيران المقاومة انتهجت القوات الفرنسية أسلوب الغارات ضد القبائل الثائرة بناحية عنابة و يهدف هذا الأسلوب إلى إضعاف القبائل اقتصاديا عن طريق نهب ثرواتها الزراعية و الحيوانية. قام أحمد باي و حلفائه باعتماد نفس الأسلوب مع القبائل الموالية للقوات الفرنسية ، ففي ربيع 1832م قام بلقاسم بن يعقوب بالإغارة على قبيلة بني ورجين الموالية للسلطات الفرنسية و غنم منها 300 رأس من الأبقار و 10000 رأس من الخرفان و 200 خيمة. في 27 أفريل 1832 م قامت القوات الفرنسية بقيادة النقيب يوسف المملوك مدعما بأربعة سرايا تحت قيادة القائد لان (Laine) بشن غارة معاكسة أكثر ضراوة على قبيلة بن يعقوب و زاد من ضراوة هذه الغارة هو التحاق الجنرال دوزر (D'uzer) مدعما بقوات إضافية و أربعة مدافع جبلية و بعض القوارب البحرية عبر واد سيبوس حيث قامت القوات الفرنسية بالاستيلاء على ألف رأس من الماشية و قتل بعض رجالها. لكن رجال بن يعقوب لم يستسلموا و قاموا بنصب كمين عند عودة القوات الفرنسية من الغارة و قتلوا ثمانية من أفرادها.

تواصلت عمليات الكر و الفر بين القوات الفرنسية و رجال المقاومة بعد الهجوم على قبيلة بن يعقوب قام النقيب يوسف بالإغارة على منطقة الفزارة يوم 04 ماي 1832م وقام بإحراق المزارع و ذبح عائلات من منطقة سوق الحد ، و قاموا بالاستيلاء على 600 رأس من الأبقار و 4000 رأس من الأغنام. لكن القائد بن يعقوب قام بشن هجوم مفاجئ بعد نصبه لكمين عند منطقة واد زياد حيث الحق بقوات العدو خسائر فادحة و استعاد جميع رؤوس الماشية المسروقة[2].

---

[1] بورمضان عبد القادر، المجتمع و العمران في مدينة عنابة خلال الفترة الاستعمارية(1830م-1900م) أطروحة دكتوراه، جامعة قالمة،2022، ص65.

[2] بورمضان عبد القادر، بورغدة رمضان، المرجع السابق.

لم تقتصر هجومات بلقاسم بن يعقوب كرد فعل على الغارات الفرنسية بل قام بقتل العريف بيفيل (Biville) يوم 08 جوان 1832م و مهاجمة فيلق الأتراك تحت قيادة النقيب يوسف يوم 27 جوان 1832م نتج عنها قتل خمسة (05) من عناصر النقيب.

أصبح بلقاسم بن يعقوب يشكل خطرا على القوات الفرنسية بسبب كثرة هجماته و قوتها و عمليات توسعه في منطقة عنابة. فقامت هذه الأخيرة بالخروج يوم 26 جويلية 1832م في حملة ضخمة بقيادة الجنرال بيريقو (perrégaux) تعدادها 1200 رجل مدعمة بقوات النقيب يوسف المكونة من 400 فارس و 300 صياد إفريقي. بينما تشكلت قوات الشيخ بن يعقوب من 1500 رجل من قبائل دريد و غجاتة و صنهاجة. قام بن يعقوب بالتعسكر خلف ربوة بليليطة ، و بسبب ارتفاع حرارة الجو نزلت القوات الفرنسية قرب ضفاف واد سيبوس للانتعاش فباغتتهم قوات بن يعقوب في هذه الأثناء و كادوا أن يأسروا النقيب يوسف لولا حمايته من طرف الجنود الأتراك. و عاد بيريقو(perrégaux) إلى مدينة عنابة يجر أذيال الهزيمة مع عدد كبير من الجرحى.

5- استنجاد أحمد باي بالباب العالي

بعد سقوط الجزائر العاصمة يوم 05 جويلية 1830م و توقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام مع القوات الفرنسية عاد الحاج أحمد باي إلى عاصمة بايلكه قسنطينة. و عند وصوله لمنطقة واد الزيتون تلقى رسالة من قائد الحملة الفرنسية دي بورمون

(De Bourmont) طالبا منه الاستسلام مع مواصلة دفعه اللزمة التي اعتاد دفعها إلى الداي حسين مقابل اعتراف فرنسا به بايا على إقليم بايلك الشرق. رفض الحاج أحمد باي هذه المقترحات و فضل الجهاد باسم السلطان و تحت راية العثمانيين[1].

و كرد فعل لهذا الرفض قام الجنرال كلوزيل(Clauzél) بإصدار قرار عزله يوم 15 ديسمبر 1830م من منصبه و تعيين مصطفى أخ حسين باشا باي بايلك تونس مكانه عقب عقد

[1] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص 119.

الجنرال كلوزيل (Clauzél) معاهدة مع هذا الأخير سنة 1830م. حيث روج حسين باشا باي يايلك تونس لإشاعات مفادها أن الحاج أحمد باي قام بإكراه سكان الإقليم على الخضوع تحت سلطته مستعملا أعمال القمع و العنف لترهيبهم. كما ادعى أيضا أن الحاج أحمد أصبح ذو نزعة انفصالية عن السلطة العثمانية و أنه لقب نفسه باشا على كامل الإيالة دون الأخذ بعين الاعتبار موافقة الباب العالي مستشهدا على ذلك سك الحاج أحمد للنقود باسمه[1]. قام أحمد بتفنيد هذه الإشاعات عن طريق مراسلته للباب العالي بحثا عن المساعدة و الدعم اللازمين ، و بدأت الخطوات الأولى لذلك من خلال الرسالة المؤرخة بالفاتح جمادى الأولى1249هـ الموافق لـ 15 سبتمبر 1833م إلى الباب العالي يستعرض فيها الأحداث السابقة و الموالية لسقوط مدينة الجزائر حيث كتب قائلا:" **و لما رأيت ما يذهل الألباب جمعت كثيرا من العساكر المهزومة و الضعفاء ما لا يحصيهم عدد و سرت بهم على وجه يطول بسطه فوصلت قسنطينة. .... و لسوء بختهم عزموا على قتلي و تولية بعض المخاذيل ، فأمكن الله من جميعهم و سلمني الله ، فأجليت سوادهم و قتلت رؤسائهم..... و لما رأى العلماء و أعيان البلد ومشايخ العرب انحلال رأي المسلمين جددوا لي البيعة بالسمع و الطاعة و سموني لأجل الضرورة بالباشا**"[2]

و كرد على مراسلات الحاج أحمد حثه الباب العالي على الصبر و الجهاد و الاستمرار في ولائه مؤكدا أنه يسعى جاهدا لمساعدته في الوقت المناسب مع إرفاق لجنة لتقصي الحقائق يترأسها كامل بك. و بعد وصول المبعوث العثماني كامل بك إلى قسنطينة واطلاعه على الأوضاع و الحقائق قدم تقريرا مفصلا للسلطان العثماني يبين فيه ولاء الحاج احمد باي للباب العالي ومعاناته في جهاد المستعمر ودفاعه عن ديار المسلمين وحاجته الماسة

[1] عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص25.
[2] خير الدين سعيدي، موقف الدولة العثمانية من طموحات أحد باي في حكم إيالة الجزائر(1832-1837)، مجلة استنبول للدراسات العربية ، عدد 04، 2021، ص 303-327.

لمساعدات عاجلة وهو ما ترك السلطان يفكر جديا بنجدة الباي عسكريا[1] بعد أن تيقن بأنه لا سبيل للحل الدبلوماسي من أجل استرجاع إيالة الجزائر تحت الحكم العثماني.

بسبب تفاقم مشاكل الدولة العثمانية في الشرق ، لم يكن بإمكانها تقديم الكثير للحاج احمد باي أو غيره ضد القوة الفرنسية آنذاك ، ورغم كل مشاكلها وضعفها أرسلت مساعدات عسكرية من جنود وذخيرة حربية للمقاومة الجزائرية ، كما بذلت جهودا دبلوماسية نشيطة مع بعض الأطراف الأوربية مثل النمسا وروسيا وانجلترا ، إلا أن المناورات الفرنسية والردود الدبلوماسية التي جعلت الباب العالي يعتقد أن فرنسا ستعدل عن احتلال الجزائر، جعلته يتريث في اتخاذ إجراءات حازمة.

6- التفاف السكان حول أحمد باي

بعد انهزام الجيش الجزائري في معركة اسطاوالي و خسارة أحمد باي 200 مقاتل من صفوف جيشه قفل عائدا إلى قسنطينة و بصحبته 1600 شخص من الأهالي الفارين من الاحتلال الفرنسي ثم واصل طريقه نحو عاصمته قسنطينة حيث بلغ ضواحيها بعد رحلة دامت واحد و عشرون (21) يوما[2]. توقف الحاج أحمد عند ضاحية المدينة و ذلك لبلوغ مسامعه عن الانقلاب الذي قام به الأتراك ضده و قاموا بتعيين حمود بن شاكر بايا جديدا. غير أنه تمكن من استعادة حكمه على المدينة بمساندة سكانها و أعيانها[3]، وهذا دليل عن التفاف السكان حوله و إيمانهم بأن الجهاد تحت لوائه نصرةً للإسلام و المسلمين. حظي الباي الحاج أحمد بمساندة و تأييد الكثير من الأسر الحاكمة في إقليمه.

7- حملة قسنطينة الأولى 1836م

حل الجنرال كلوزيل(Clauzél) مرة ثانية بالجزائر بعد أن تم عزله منها في المرة الأولى متمتعا بدعم كبير من الحكومة الجديدة في فرنسا حيث قام بعزل الجزائر من الناحية الشرقية و الغربية و ذلك بتحييد باي تونس عن طريق منحه عدة امتيازات منها ضم بايلك

[1] محمد ميلودي، المقاومة الجزائرية و الدولة العثمانية1830-1848م، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، المجلد 1 العدد02، 2019، ص 246-266

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،المرجع السابق، ص 135.

[3] بشير بلاح ، المرجع السابق ، ص114

شرق إيالة الجزائر إلى بايلك تونس، و تعيين سي مصطفى بايا على هذا الإقليم بدل الحاج أحمد باي[1]. و عن طريق نزع الاعتراف بالسيادة الفرنسية على الجزائر من ملك المغرب السلطان المولى عبد الرحمن[2].

بعد سقوط مدينة عنابة سنة 1832م، و استيلاء قوات الاحتلال على بجاية بقيادة تريزيل (Trézèl) في 29 سبتمبر 1833م بعد مقاومة شرسة من طرف سكانها ، حيث اضطروا لمغادرتها فور سقوطها. و بهذا يكون إقليم شرق قسنطينة قد خسر ميناءين و هذا ما ساعد على عزل البايلك من الجهة الشمالية.

كما حاول القائد كلوزيل (Clauzel) التخلص من الحاج أحمد باي و ذلك من خلال إصدار قرار في 21 جانفي1836م[3] ، والذي يقضي تعيين يوسف المملوك بايا على الشرق الجزائري و إعطائه الحرية المطلقة من أجل النجاح في المهام الموكلة إليه و المتمثلة في مساعدة قوات الاحتلال على التوغل في إقليم بايلك الشرق و السيطرة عليه و القضاء على المقاومات الشعبية بشكل عام و على مقاومة أحمد باي خاصة[4].

من أهم المشاريع التي أوكلت ليوسف المملوك هي الإطاحة بحكم أحمد باي من خلال شن حملة على قسنطينة ، و لتنفيذ هذا المشروع بدأ هذا الأخير بتوزيع الخطابات على السكان قائلا:" **اقبلوا عني أنني مسلم مثلكم ، جئت لأخلصكم من الاحتلال الفرنسي و من طغيان أحمد باي يضطهدكم، اجعلوني على رأسكم و سوف ترون أنني أعرف كيف أنجز مشروعي**"[5].

من جهة أخرى ضاعف كلوزيل(Clauzel) القوات العسكرية في بايلك الشرق عن طريق جلب الوحدات العسكرية من وهران و بجاية و جعل مدينة عنابة نقطة تمركز لها. كما قام

---

[1] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 136

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1989م، ص71.

[3] صالح فركوس ، الحاج أحمد باي قسنطينة ، دار المطبوعات الجامعية،2007 ، ص66

4 بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، المرجع السابق ، ص 140.

5 أحمد باي ، المصدر السابق ، ص42-41

بتجهيز جيش مكون من 8800 جندي موزع على أربع فرق مجهزة بأحدث الأسلحة وبالمدفعية إلى جانب أربعة عشر قطعة حربية و ذلك بمساعدة كل من الدوق دي نيمور (Duc De Nemours)ابن الملك الفرنسي و الجنرالين تريزل (Trézèl) و ديغيني[1].

و بعد احتلال الجنرال كلوزيل(Clauzel) لمدينة قالمة بعد عدة مقاومات متفرقة قام هذا الأخير باستئناف طريقه نحو قسنطينة بعد تنصيبه لحامية عسكرية هناك.

علم الحاج أحمد باي بالحملة على قسنطينة من خلال جواسيسه في كل من عنابة و الجزائر العاصمة ، و لهذا قام بالاستعداد لهذه الحملة من خلال تجنيد ألف و أربعمائة رجل مسلح، و ألف متطوع متهيئين للدفاع عن المدينة. كما قام بتجنيد 1500 جندي من المشاة و 5000 من الفرسان تحت قيادته المباشرة. حيث خرج الحاج أحمد باي على رأس جيشه إلى منطقة واد الكلاب (واد الأحد الذي يقع تحت منطقة سيدي مبروك) و أوكل مهمة الدفاع عن المدينة لكل من ابن عيسى و محمد بن البجاوي حيث أعد لهما 100 فارس و 30 مدفع كبير استعدادا لمواجهة الجيش الفرنسي ، معتمدا على خطة فكي الكماشة كخطة حربية ، حيث تعتمد هذه الخطة على وقوع قوات العدو عند وصولها لأسوار المدينة بين القوات المرافقة له و بين قوات بن عيسى المرابطة بالمدينة[2].

بدأ الزحف نحو قسنطينة يوم 21 نوفمبر 1836م، انطلاقا من مدينة عنابة وفق التسلسل التالي[3]:

- يوم 8 نوفمبر مساء، أول تجمع للقوات الفرنسية في معسكر الذرعان.
- يوم 9 نوفمبر، وصول القوات إلى معسكر النمشية، ثم جبل موالفة.
- يوم 10 نوفمبر، صعود القوات الفرنسية مضيق الفجوج.

---

1 بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)،المرجع السابق ، ص142.

[1] يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ،المرجع سابق ، ص70.

[3] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، المرجع السابق، ص146.

- 17 نوفمبر ، عبور القوات الفرنسية لمنطقة مجاز عمار، و في مساء نفس اليوم تم إقامة معسكر لها في منطقة سيدي طمطم.

صاحب الزحف الفرنسي نحو قسنطينة اضطراب في الأحوال الجوية ، حيث بدأ هطول الأمطار و سقوط الثلوج في هذه المنطقة ، مما عطل تحركات الجيش الفرنسي التي لم تتأقلم مع طبيعة التضاريس و المناخ. و هذا ما ساعد قوات أحمد باي على التقدم و ذلك لاعتيادهم على هذه الظروف الطبيعية القاسية.

و في يوم 20 نوفمبر 1836م التقى الجمعان بمنطقة عقبة العشاري ، كان هجوم أحمد باي على القوات الفرنسية ضاريا حيث تكبدت هذه الأخيرة خسائر جسيمة. قام الجنرال كلوزيل بالتوجه إلى الصومعة للتمركز بها.

اعتمد أحمد باي في هجماته ضد القوات الفرنسية على المناوشات الخفيفة كالكر و الفر بسبب تفوقها العسكري عدة و عتادا، كما عمل على استدراجهم للمدينة المحصنة وفق الخطة المدروسة سابقا، و هذا لصعوبة الالتحام المباشر مع هذه القوات.

في صباح يوم 21 نوفمبر 1836م قام الجنرال كلوزيل(Clauzel) بمنح جنوده استراحة بعد معاناتهم من التعب و الإرهاق بسبب هجمات جيش أحمد باي، و بعد قضاء ليلة غادرت جيوش القوات الفرنسية الصومعة لمواصلة الزحف باتجاه سفح المنصورة. كان الجنرال كلوزيل(Clauzel) يتصور أن احتلال مدينة قسنطينة سيكون سهلا و ذلك بناءا على المعلومات التي صرح بها قائده يوسف المملوك. كما توقع تعاون سكان قسنطينة مع قواته من أجل تسليم مفاتيح المدينة له دون مقاومة أو دفاع.

كان استقبال سكان مدينة قسنطينة للقوات الفرنسية عكس توقعات الجنرال كلوزيل فقد كانت ضربات المدافع تتوالى تباعا و من كل صوب و حدب. و هذا ما ساعد على زعزعة الجيش

الفرنسي و نتيجة لهذا قرر الجنرال كلوزيل استغلال تفوقه العددي لضرب حصار على المدينة[1].

أقام الجنرال كلوزيل (Clauzel) معسكرا لقواته في المنصورة ، كما قسم جيشه لأربع (04) فرق منها اثنين تحت قيادة الجنرال تريزل(Trizèl) و كانت هاتين الفرقتين فوق منحدرات المنصورة للهجوم على باب المدينة من جهة باب القنطرة ، و من جهة أخرى أوكلت قيادة الفرقتين المتبقيتين إلى الجنرال دريني(Drinier) حيث أمر باجتياز واد الرمال عند منطقة التقائه بوادي بومرزوق ثم الصعود إلى منحدرات باردو لاحتلال منطقة كدية عتي الاستراتيجية.

أما من جهة أحمد باي قام الحاج بتقسيم الجيش إلى قسمين (02):

القسم الأول من الجيش ثابت تحت قيادة بن عيسى موزع على طول أسوار المدينة من الداخل، و متمركز فوق الأبواب و أمام مداخل المدينة. وأحمد باي شخصيا مرابط خارج أسوار المدينة، بهدف تضييق الخناق على الوحدات الفرنسية و خلق بؤر توتر داخل صفوفها.

بعد وصول القوات الفرنسية لمنحدرات باردو ظهيرة يوم 21 نوفمبر 1836م، غادر القائد بن عيسى موقعه ليعيق تمركز الجيش الفرنسي في هذه المنطقة، حيث توجه هذا الأخير للهجوم من جهة باب القنطرة كما تمكن المتطوعون من ناحية أخرى إقامة مخرج مفاجئ من باب القنطرة المحاصَر و ذلك عبر الأنفاق المقامة تحت شارع اليهود. زعزع هذا الهجوم قرارات الجنرال كلوزيل الذي كان يتهيأ لمهاجمة الباب لكن تدفق المتطوعون من جهة الباب و من جهة الوادي من ناحية أخرى أحدث خسائر فادحة في الأرواح و العتاد في صفوف القوات الفرنسية[2].

---

1 بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، ،المرجع السابق، ص148.

2 بوعزة بوضرساية، المرجع نفسه، ص 151.

كان حلول الليل فرصة ملائمة لكلا الطرفين من أجل أخذ قسط من الراحة، و إعادة جمع القوات و تهيئتها و تنظيمها. و على هذا الأساس خصص الحاج أحمد باي ثمان مائة (800) متطوع من جنوده للدفاع عن المدينة ، حيث استطاعت هذه القوة تدعيم صفوف قوات القائد بن عيسى بعد التسلل إلى داخل المدينة ليلا.

في مساء يوم 22 نوفمبر 1836م، اندلعت المواجهة بين الجانبين شملت كل الجبهات و قد اعتمد الجانب الفرنسي على ضربات مدفعيتهم للقضاء على المقاومين. إلا أن الرد من جهة المقاومة كان مماثلا أيضا باستخدامهم للبنادق و المدافع معا، دون ترك المجال للمدفعية الفرنسية للهجوم أو الرد. أما بالنسبة للمعركة خارج أسوار المدينة قام أحمد باي بمهاجمة قوات مؤخرة الجيش الفرنسي التي لم تصل إلى المنصورة ملحقا بها أضرارا جسيمة و خسائر معتبرة ما مكنه من الاستيلاء على الذخيرة و المؤن ، و بعدها عاد الحاج أحمد باي إلى قسنطينة لمساعدة خليفته بن عيسى.

كان الهدف من هذا الهجوم هو زعزعة القوات الفرنسية و إرباكها، فبعد هذه الضربات في صفوف الجيش الفرنسي وجب على الجنرال كلوزيل(Clauzel) الإسراع في احتلال المدينة و ذلك لأن المؤن و الذخائر أوشكت على الانتهاء. و في ليلتي 22 و 23 نوفمبر 1836م قام الجنرال كلوزيل(Clauzel) بمحاولة يائسة لمهاجمة باب القنطرة بعد إلحاق أضرارا جسيمة لجيشه بسبب طلقات المدفعية في النهار معتقدا أن الأمر سيكون غاية في السهولة و لكن مرة أخرى اصطدمت أحلام اليقظة لهذا الجنرال بالواقع المرير للمقاومة في إقليم بايلك قسنطينة. حيث أدرك مدى خطورة دخول قواته من الباب و الذي سيؤدي حتما إلى قطع كل الطرق المؤدية إلى الخارج في حالة الفرار أو التراجع إلى الوراء عندما تقتضيه ضرورة المعارك.

و في يوم 23 نوفمبر 1836م و بعد الإخفاقات المتتالية للجنرال كلوزيل(Clauzel) في دخول المدينة ، قرر هذه المرة القيام بهجوم شامل في آن واحد أثناء الليل، على هدفين

رئيسيين و هما الجزء العلوي لكدية عتي ، و الجزء السفلي لباب القنطرة. حيث يكون الهجوم الأول على كدية عتي عبارة عن مناورة فقط لجلب قوات المقاومين لتغطية الهجوم الأساسي لباب القنطرة. و لكن فطنة القائد بن عيسى و بسالة المقاومين في الدفاع عن مدينتهم حال دون تحقيق السلطات الفرنسية لأهدافها المسطرة[1].

نتج عن هاته المحاولات الفاشلة لاقتحام المدينة في هذه الليلة قتل 250 جندي من القوات الفرنسية.مما أدى إلى إصداره أمر الانسحاب إلى عنابة.

و على إثر هذا الانسحاب تمكن أحمد باي من غنم كميات كبيرة من العتاد الحربي منها حوالي خمسون ألف (50000) خرطوش و ألف (1000) قطعة من الأدوات العسكرية الجديدة، و صناديق الأسلحة المختلفة، و أدوات الهندسة العسكرية إلى جانب المؤن الغذائية، و الأدوية[2].

بعد هذا الانتصار لقوات المقاومين، عاد الحاج أحمد باي إلى المدينة و عمل على تحصينها و ذلك لأنه كان يتوقع أن القوات الفرنسية ستعيد الكرة لاحتلال المدينة فالانهزام في المعركة لا يعني بالضرورة الاستسلام. كما علم أن هناك بعض من الأهالي كانوا يريدون الاستسلام للفرنسيين أثناء القصف على المدينة فأصدر حكم الإعدام على بعضهم. و من جهة أخرى قام بمراسلة السلطان يخبره بما جرى[3].

8- الحملة الثانية على قسنطينة

انتهت الحملة الأولى للجيش الفرنسي على قسنطينة بانهزام القوات الفرنسية التي يقودها الجنرال كلوزيل، و ترتب عن هذه الهزيمة ترقية يوسف المملوك إلى رتبة عقيد من قبل وزير الحربية ، و عزل الجنرال كلوزيل(Clauzel) و تعويضه بالماريشال دامريمون(Damremont)

1 بوعزة بوضرساية ، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، المرجع السابق ، ص156.
2 بوضرساية بوعزة ، نفسه، ص158.
3 عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص143.

يوم 12 فيفري 1837م[1]، الذي حل بعنابة قادما من الجزائر العاصمة استعدادا للحملة. و لكن على الرغم من هذه الهزيمة لم تعلن القوات الفرنسية استسلامها بل استعدت لخوض حملة أخرى أكثر شراسة ، و في خضم هذه الاستعدادات تم فتح باب المفاوضات من جديد مع الحاج أحمد باي. حيث طلب دامريمون(Damremont) من الحاج أحمد باي الاعتراف بسيادة فرنسا، مع الالتزام بدفع ضريبة سنوية. قابل أحمد باي هذه الاقتراحات بالرفض[2]، و خرج لقتالهم في منطقة تسمى بلاد عمر. و هناك أرسل إليه دامريمون (Damremont)اليهودي بوجناح في الزي العسكري، عارضا عليه دفع مليونين من الفرنكات ضريبة حرب ، مع إقامة حامية فرنسية في قصبة قسنطينة. و هذا مقابل اعتراف فرنسا به بايا على الإقليم فيما وراء منطقة مجاز عمار، أي أن المناطق الخاضعة تحت سيطرة القوات الفرنسية لا تخضع لنفوذ الحاج أحمد باي[3]. رفض أحمد باي هذه الشروط بعد اجتماعه مع أعيان قسنطينة و علمائها و رؤساء القبائل المساندة له، أرسل الحاج أحمد باي هذا الرفض مع بوجناح كمبعوث لدامريمون. بعد هذا الرفض عاد دامريمون(Damremont) مرة أخرى للحاج أحمد باي للتفاوض مجددا مع شروط أخرى، و لكن الحاج رفضها أيضا و لكن هذه المرة أرسل رفضه مع كاتبه لعدم وثوقه في بوجناح.

و كنتيجة حتمية لرفض أحمد باي التفاوض مع فرنسا، سخرت فرنسا كل طاقاتها المادية و البشرية لإعادة الاعتبار الذي فقدته في حملتها الأولى على قسنطينة. أقام دامريمون (Damremont)أربعة معسكرات(04) على طول الطريق المؤدي إلى قسنطينة انطلاقا من عنابة.

---

[1] محمد العربي الزبيري ، مقاومة الحاج أحمد باي ، مرجع سابق ، ص 171.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830م-1925م، المرجع السابق، ص49.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 143.

كان معسكر منطقة مجاز عمار نقطة الانطلاق لجميع العمليات العسكرية على قسنطينة و لم يقتصر الجيش الفرنسي على الفرق المرابطة في عنابة و قالمة ، بل استعانت بقوة إضافية قادمة من وهران و الجزائر العاصمة و هذا بعد توقيع القوات الفرنسية لمعاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر. بالإضافة إلى الدعم المادي الذي وصل إلى الجيوش انطلاقا من ميناء طولون بمرسيليا[1]. و على الصعيد الجزائري قام أحمد باي باستدعاء أعيان الإقليم ورؤساء القبائل من أجل تجنيدهم و حثهم على الجهاد للتصدي إلى العدو الفرنسي ووقف زحفه على باقي مناطق الإقليم. و بهذا استطاع أحمد باي تجهيز قرابة 12000 مجاهد و 10000 من المتطوعين خصص 3000 منهم للدفاع عن المدينة تحت قيادة خليفته ابن عيسى و مساعده بلبجاوي ، بينما تشكل الجيش الذي تحت قيادته المباشرة من 7000 فارس و 2000 جندي من المشاة[2].

بعد الهزيمة الأولى التي مني بها الجيش الفرنسي على يد قوات أحمد باي، استوعب الجنرال دامريمون الدرس وهو تفادى التقليل من شأن قوات المقاومة ، و على إثر هذا قام هذا الأخير بوضع خطة عسكرية تتمثل في[3]:

- إقامة معسكرات عديدة على طول الطريق الرابط بين معسكره بمجاز عمار و الطريق المؤدي إلى قسنطينة ، و ذلك تفاديا للغارات المفاجئة لجيش المقاومة.
- السير نحو قسنطينة ببطء و على مراحل
- عند الوصول إلى قسنطينة يكون الهجوم مباشرة على باب القنطرة و كدية عتي
- التركيز على نقاط ضعف دفاع قوات المقاومة بفتح ثغرة على أسوار المدينة.

بدأت التحركات الفرنسية نحو قسنطينة وفق المراحل الآتية[4]:

---

[1] بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، المرجع السابق، ص168.
[2] بوضرساية، نفسه، ص172.
[3] بوضرساية، نفسه ، ص174.
[4] بوضرساية بوعزة، نفسه ،ص177.

- في يوم 01 أكتوبر 1837م، غادرت القوات الفرنسية منطقة مجاز عمار و صولا إلى منطقة رأس العقبة.
- في يوم 02 أكتوبر 1837م، وصلت القوات الفرنسية إلى منطقة وادي زناتي و مكثت بها إلى غاية يوم 04 أكتوبر 1837م.
- في يوم 05 أكتوبر 1837م، بدأت الانطلاقة الثانية من وادي حميمين وصولا إلى منطقة المريج، أين أقاموا معسكرهم هناك.
- في يوم 06 أكتوبر 1837م، تمكنت القوات الفرنسية من التسلل إلى منطقة كدية عتي وسطح منطقة المنصورة ، كما أقام القادة الفرنسيين مراكزهم انطلاقا من منطقة سيدي مبروك.
- في يوم 07 أكتوبر 1837م، انطلقت المواجهات العسكرية الحقيقية في كل الاتجاهات بين الطرفين.
- في يوم 11أكتوبر 1837م، أرسل القائد دامريمون برقية موجهة إلى سكان و أعيان قسنطينة ، يعرض فيها عليهم الاستسلام وتسليم المدينة مع إرفاق هذه البرقية بجملة من التعهدات الزائفة و الوعود الكاذبة ، أهمهما احترام فرنسا لمقدساتهم الدينية وثرواتهم.

لكن القائد بن عيسى خليفة الباي أدرك بأنه أسلوب استعماري تقليدي يهدف إلى تشتيت صفوف المقاومين، فرد الحاج أحمد باي على هذه البرقية بسخرية:" **إذا كنتم تفتقرون إلى الذخيرة الحربية نبعث لكم ما تريدون ، وإذا لم يكن لديكم البسكويت نقتسم معكم ما عندنا، و لكن لا يمكن أن تدخلوا إلى قسنطينة أو أن تصبحوا سادتها إلا إذا قضي على آخر واحد منا**"[1].

[1] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830م-1925م، المرجع السابق، 2010 ، ص49.

اعتمد أحمد باي على خطة الكر و الفر في حربه مع القوات الفرنسية ، لكن كثرة تعداد الجيش الفرنسي عدة وعتادا حال دون زعزعته هذه المرة ، مما دفع بالحاج إلى الرجوع إلى عاصمته من أجل تعزيز دفاعاتها. استغل الحاج أحمد باي لحظة تجمع كبار ضباط القوات الفرنسية معطيا أوامره بتوجيه ضربات المدفعية المتتالية نحو الهدف المنشود. أسفر عن هذه العملية قتل الجنرال بيريقو (Perrégaux)و القائد دامريمون(Damremont) فخلفه الجنرال فالي(Valet) و تعززت القوات الفرنسية بقوات مدفعية إضافية مما مكن الجيش الفرنسي من فتح ثغرة كبيرة في سور المدينة الرئيسي مما سهل من اقتحامها يوم 13 أكتوبر.

بعد دخول القوات الفرنسية لمدينة قسنطينة ، اعتمد الحاج على تشعب أزقتها لاستدراج الجيش الفرنسي مع استخدامه لأسلوب حرب العصابات. نتج عن هذه الخطة مقتل ثلاثمائة جندي على رأسهم المقدم لامورسيير(Lamoricière) في انفجار للألغام المزروعة داخل المدينة[1].

لكن نقص الخبرة العسكرية للمقاومين الجزائريين في استخدام المتفجرات، حال دون انفجارها في باقي الأرجاء و هذا ما أحبط من عزيمة الحاج أحمد على مواصلة المقاومة ، لذا أمر القائد بن عيسى السكان بمغادرة المدينة لكن البعض فضل مواصلة القتال حتى الاستشهاد من بينهم القائد بلبجاوي خليفة بن عيسى[2].

رغم سقوط عاصمة بايلك الشرق فقد بقي الحاج أحمد باي متمسكا بقرار الجهاد حيث انسحب إلى جنوب الإقليم من أجل تنظيم صفوف المقاومة من جديد[3].

---

[1] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)،المرجع السابق، ص189.

[2] بوضرساية بوعزة، نفسه، ص 191.

[3] أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ،المرجع السابق، ص 144.

المبحث الثاني : عوامل ضعف مقاومة أحمد باي

1- رفض أحمد باي إبرام الاتفاقيات مع القوات الفرنسية

لم تيأس القوات الفرنسية من استمالة الحاج أحمد باي إلى طرفها، من خلال المفاوضات و المراسلات و المناورات التي ظلت مستمرة إلى آخر يوم من أيام مقاومته ، إلا أن الحاج أحمد باي قرر عدم استغلال هذه الفرص من أجل إعادة تنظيم جيشه و إرساء قواعد دولته ، بل رفض جميع هذه العروض بعد رجوعه لمجلس شورته في كل مرة.

و كانت أول رسالة تلقاها الأمير من القائد دي بورمون(DeBourmont) و هو في طريق عودته من دار السلطان بعد مشاركته في الدفاع عن الجزائر العاصمة. طالبه فيها بمواصلة دفعه للجزية للسلطات الفرنسية مقابل إبقائه بايا على قسنطينة تحت سلطة فرنسا[1]. فكان الرفض من جانب الباي هو الرد.

واصل الجنرال كلوزيل(Clauzel) هذه المناورات بعد تعيينه مكان دي بورمون ، حيث راسل أحمد باي مطالبا إياه بالاستسلام مقابل اعتراف فرنسا به حاكما على الشرق ، و لكن أحمد باي رفض هذه المراسلة بعد توصيات الباب العالي بعدم إبرام المعاهدات مع القوات الفرنسية[2].

كانت المحاولة الثالثة من طرف الحاكم دو روفيقو(De Rovigo) الذي أرسل حمدان خوجة لأحمد باي من أجل حمله على الاستسلام، نظير احتفاظه بمنصبه و اعترافه بفرنسا مع التزامه بدفع الضريبة السنوية إضافة إلى دفعه ضريبة حرب مقدرة بثلاثة ملايين فرنك ضريبة حرب. بعد عقد مجلس الشورى لديوانه تم الاتفاق على قبول دفعهم للضريبة السنوية ، مقابل انسحاب فرنسا من المناطق التي احتلتها خاصة عنابة ، مع

---

[1] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم(1830-1848م)، المرجع السابق، ص 143.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 102.

إقامة قنصل فرنسي في عنابة. كما رفض أعضاء المجلس دفع ضريبة الحرب و المقدرة بثلاثة ملايين فرنك ، و يبقى سريان هذه الاتفاقية مرهونا بقبولها من طرف الباب العالي. حمل حمدان خوجة رأي أعيان قسنطينة إلى الدوق ثم رجع برسالة أخرى تحمل الشروط التالية[1]:

- دفع دورو 50000 كضريبة حرب مع الالتزام بدفع الضريبة السنوية.
- تعهد فرنسا بالحصول على القفطان للحاج أحمد باي من اسطنبول أي تعيينه دايا على إيالة الجزائر.
- الإبقاء على حامية عسكرية في كل من قسنطينة و عنابة.
- إخضاع ميناء عنابة تحت نفوذ القوات الفرنسية.

كان جواب الحاج أحمد باي هو الرفض القاطع هذه المرة أيضا.

لم تيأس السلطة الفرنسية من هذا الأسلوب ، حيث كانت المحاولة الرابعة عن طريق دامريمون(Damremont) ، حيث قام بفتح باب المفاوضات عن طريق الاتصال باليهودي ابن باجو الذي كان يعمل في دار الحاج أحمد باي ، وكعادته رفض أحمد باي هذه الاقتراحات بل قابلها بقتال القوات الفرنسية في منطقة بلاد عمر. لم ييأس دامريمون(Damremont) من هذه المحاولات بل أرسل يهوديا اخر هو بوجناح حاملا معه شروطا جديدة تتمثل في:

- دفع مليونين فرنك كضريبة حرب.
- إقامة حامية فرنسية في قصبة قسنطينة.
- اعتراف فرنسا بالحاج أحمد بايا على المناطق التي لا تخضع تحت السيطرة الفرنسية.

[1] أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال المرجع السابق، ص140.

لكن أعيان قسنطينة و رؤساء القبائل قابلوا هذه الشروط بالرفض نظرا للشروط المجحفة التي وضعتها القوات الفرنسية. مع إيصال رفض أحمد باي للقائد دامريمون(Damremont) عاد بوجناح مرة أخرى بشروط جديدة لكن أحمد باي رفضها أيضا مع بيان نيته في السلم لكن بشروط معقولة ترضي جميع الأطراف. مع إرسال رده مع كاتبه محمد بن العنتري لعدم وثوقه في بوجناح اليهودي[1].

بعد سقوط قسنطينة عاصمة بايلك الشرق ، قام الجنرال فالي(Valet) بالتفاوض مع الحاج أحمد باي من أجل الاستسلام و ذلك بإرساله كل من ابن العطار من قسنطينة والحاج الباي من عنابة ، مقابل التعهد له بالأمان و ضمان انتقاله إلى بلاد إسلامية ، رغم ميل الحاج أحمد باي إلى قبول هذا العرض إلا أنه أخذ بنصيحة صهره بوعزيز بن قانة ، الذي حثه على رفض الاستسلام و مواصلة القتال[2].

2- تخاذل الباب العالي في دعم المقاومة

كان أحمد باي أهم القادة البارزين في معركة سطاوالي التي انهزم فيها الجيش الجزائري أمام القوات الفرنسية وبعد سقوط عاصمة الإيالة و توقيع معاهدة الاستسلام ، عاد أحمد باي إلى قسنطينة عاصمة بايلكه من أجل الاستعداد وتحصين المدينة ضد هجومات القوات الفرنسية.

رفض أحمد باي الاعتراف بفرنسا وفضل الجهاد باسم السلطان و تحت راية العثمانيين و هذا الإخلاص هو ما دفع حمدان خوجة من مراسلة السلطان محمود الثاني من أجل طلب المساعدة والإمدادات.

---

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 68.

[2] أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص144.

بالرغم من أن طموحات أحمد باي في توليه إدارة أمور إيالة الجزائر خلفا للداي حسين كانت طموحات تستند إلى الكثير من الوقائع الميدانية و التاريخية إلا أن كثرة الحسابات السياسية للباب العالي والمتمثلة في تخوفه من اندلاع الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا.

كانت الدولة العثمانية في حالة كارثية بسبب تدهور قوتها، مما أدى إلى ظهور حركات التمرد في إيالاتها كتمرد محمد علي باشا في الشرق و تمرد باي تونس في الغرب فلم تكن بإمكانها تقديم الكثير للحاج احمد باي أو غيره ضد القوة الفرنسية آنذاك.

كان رد السلطان عن هذه المراسلات يتمثل في المساندة المعنوية لأحمد باي عن طريق حثه على الصبر مع مواصلة المقاومة والجهاد تحت راية الدولة العثمانية[1].

أما عن تحركات الدولة العثمانية فيأوروبا لكسب تأييد دولي لهذه القضية فقد طلبت من إنجلترا عام 1834م مساعدتها في استرداد الجزائر، لكن وزير الخارجية الإنجليزي قد أفصح برأيه بأنه لا يستطيع معارضة فرنسا بشأن قضية استرداد الجزائر. وفي نفس السنة تقابل السفير العثماني مع وزير الخارجية الفرنسي بشأن قضية الجزائر، لكن هذا الأخير أجاب بعدم نية فرنسا في التخلي عن الجزائر[2].

و هكذا مُنيت كل المحاولات العثمانية لاسترداد الجزائر بالفشل بعد اعتراض كل من انجلترا و روسيا على تقديم المساعدة من أجل استرجاع الجزائر.

بعد فشل المحاولات الدبلوماسية للدولة العثمانية من أجل استرجاع الجزائر، اختارت هذه المرة أن تسلك درب استعمال القوة من أجل حسم الخلاف الرئاسي في طرابلس الغرب وإخضاعها لنفوذ السلطة العثمانية. كما خطط الباب العالي بضم إيالة تونس الفاصلة بين طرابلس الغرب و الجزائر. و لكن هذه المحاولة باءت بالفشل[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ،المرجع السابق، ص 140

[2] محمد ميلودي،المرجع السابق، ص 259.

3 بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 145.

إن عدم تفكير الباب العالي في إرسال المساعدات و الإمدادات لأحمد باي من أجل مساندة المقاومة في إقليم الشرق الجزائري برا عن طريق طرابلس الغرب و تفضيله السواحل التونسية يُعتبر خطأ فادحا وقع فيه السلطان العثماني.

كما أن المناورات الفرنسية والردود الدبلوماسية التي جعلت الباب العالي يعتقد أن فرنسا ستعدل عن احتلال الجزائر، تركته يتريث في اتخاذ إجراءات حازمة أو إرسال مساعدات عسكرية للمقاومة منذ بداية الاحتلال ، وبعد اكتشاف حقيقة النوايا الفرنسية والانجليزية وجدت الدولة العثمانية أن الزمن قد تجاوزها وأن فرنسا قد أحكمت قبضتها على الجزائر واتفقت مع الانجليز على تقاسم مناطق النفوذ في الأراضي العثمانية.

3- موقف باي تونس المتواطئ من الاحتلال الفرنسي للجزائر

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت هناك عوامل كثيرة دفعت بباياات تونس للميل للجانب الفرنسي خصوصا عامل العلاقات التجارية معها. كما أن تخوف الأسرة الحسينية من الجانب الفرنسي جعلها في شبه تبعية سياسية لفرنسا، و هذا بفضل الأدوار المهمة التي لعبها القناصلة الفرنسيين من أجل ربط تونس بفرنسا حيث كتب الباي حسين متذللا للقنصل الفرنسي قائلا:" **إني أتمنى النصر للأمة الفرنسية.... و لو جاءني مائة فرمان تعوني لمعاكسة فرنسا حليفتي، فإنني لا أطيع لها أمرا و لا اسمح لأحد بتلبية ندائها لحمل السلاح ضدها..... و ليس أحد أشد شوقا مني إلى معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر**"[1].

بعد احتلال الجزائر أرسل حاكم تونس يوم 21 نوفمبر 1830 م وفدا على رأسه كل من مصطفى صاحب الطابع و الكاتب أبي الربيع سليمان إلى الجزائر العاصمة من أجل إظهار طاعة وولاء تونس للقوات الفرنسية حيث استغل القائد كلوزيل(Clauzel) هذا الموقف و قام بعرض مشروعه أمام هذا الوفد و المتمثل في تولية تونس إدارة كل من بايلك قسنطينة

[1] عميراوي حميدة، المرجع السابق ، ص68.

ووهران تحت وصاية الحكومة الفرنسية مقابل مبلغ مالي، تمهيدا لتتولى إدارة إيالة الجزائر كلها.

وافقت الحكومة التونسية على هذا المشروع و تم إرسال الأغا خير الدين على رأس قوة تتكون من 300 فارس، وصلت هذه القوة إلى وهران يوم 19 جانفي 1830م و كان هدفها الأول التمركز في المنطقة و جمع الضرائب من السكان.

لم يكتف باي تونس بهذه المواقف بل راسل السلطان محمود الثاني مخبرا إياه عن انشقاق الحاج أحمد باي عن السلطة العثمانية و إعلان تمرده على الباب العالي و ذلك من أجل التغطية عن تدخلاته اللامشروعة في كل من قسنطينة ووهران ، كما ناشد سكان بايلك قسنطينة الانضمام إلى صفوفه والتوقف عن المقاومة تحت لواء الحاج أحمد باي[1].

من المواقف المخيبة التي اتخذها باي تونس هو عدم السماح للجزائريين التزود بالأسلحة و البارود عن طريق تونس، وقد لعب القنصل الفرنسي دورا كبيرا في دفع حاكم تونس على تشديد الرقابة على حركة التنقل حتى يمنع التونسيين من تهريب الأسلحة و البارود إلى الجزائر عن طريق مدينة طبرقة[2].

بعد الانتصار الذي حققه الحاج أحمد في الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م قام السلطان العثماني بإرسال الإمدادات لأحمد باي عن طريق تونس و كان ذلك في ربيع سنة 1837م، و تتمثل هذه الإمدادات في أربع سفن عثمانية محملة بالجنود و العتاد الحربي، لكن باي تونس فرض الحجر الصحي على الجنود الأتراك و ذلك بعدم السماح لهم بالنزول على أرضه بل أذن بنزول المدافع فقط و كان هذا القرار نتيجة للضغوطات و التهديدات الفرنسية بشن هجوم عسكري على تونس في حالة تعاونها مع أحمد باي. ومن جهة أخرى راسل باي تونس الحاج أحمد معتذرا عن موقفه لأنه يريد الإبقاء على علاقاته الودية مع الفرنسيين. و هكذا عادت السفن العثمانية أدراجها محملة بالجنود الأتراك، أما المدافع فقد

[1] أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 163.
[2] عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص76.

سخرها باي تونس لاستعمالاته الخاصة. و جاء في فحوى الرسالة ما يلي:" **إنني لم أفعل ذلك بمحض إرادتي، و ما قصدت غير الخير، فاسمح لي يا أحمد، وإني أطلعت السلطان محمود على ما أرغمت عليه، و قلت له بأن الدنيا بأسرها تخاف اليوم قوة فرنسا**"[1].

4- كثرة المؤامرات و الصراعات الداخلية في بايلك الشرق

الصراع مع حامية الأتراك

كان بايلك الشرق مليئا بالصراعات الداخلية منذ أن غادر الحاج أحمد باي الجزائر العاصمة متجها نحو قسنطينة، فبمجرد وصوله إلى أطراف المدينة بلغ مسامعه عن تمرد الأتراك و قيامهم بثورة ضده. قاد هذه الثورة حامية الشتاء و يولداش قسنطينة و نصبوا حمود بن شاكر بايا على قسنطينة[2]. و لكن أنصاره من أعيان المدينة و علمائها و على رأسهم ابن عيسى قاموا بمساعدته على دخول المدينة عند علمهم بعودته ، و عند تأكد خصومه من عدم تأييد أهل المدينة لهم قاموا بقتل زعيمهم و أعلنوا توبتهم و ولائهم للحاج أحمد باي، قام هذا الأخير بالعفو عنهم في الظاهر و لكنه تخلص منهم الواحد تلو الآخر[3].

الصراع مع باي التيطري و إبراهيم الكريتلي

بدأ صراع أحمد باي مع باي التيطري مصطفى بومزراق عندما حاول هذا الأخير التخلي عن لقب الباي مقابل تنصيب نفسه دايا مكان الداي المخلوع حسين باشا، وذلك بعد فشله في ربط اتصالاته مع القوات الفرنسية. حيث طلب من الحاج أحمد باي الخضوع له مقابل إبقائه بايا على قسنطينة ، لكن الحاج أحمد باي رفض طلبه قائلا:" **ليس عندي جواب و البارود هو الفاصل بيننا**"[4]. و مقابل هذا الرفض قام بومزراق بالتحالف مع إبراهيم الكريتلي الباي السابق لإقليم قسنطينة مع تعيينه من جديد بايا على قسنطينة بعد عزله لأحمد باي.

---

[1] عميراوي حميدة، المرجع نفسه، ص79.

[2] أبو القاسم سعدالله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 135.

[3] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص17-19.

[4] بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص139.

لكن الحاج أحمد استطاع أن يلحق بهما هزيمة نكراء أدت إلى فرار إبراهيم الكريتلي إلى تونس و منها عاد إلى مدينة عنابة ، حيث قام بربط اتصالاته مع الفرنسيين بعد تمكنه من التأثير على عناصر الحامية التركية و تأليبهم ضد حكم أحمد باي في بايلك الشرق. حيث عملت هذه الأخيرة على تسليم مدينة عنابة للقوات الفرنسية دون مقاومة تُذكر[1].

إن طموح ابراهيم الكريتلي و سعيه للوصول إلى السلطة جعلته على استعداد تام للتعاون مع الفرنسيين لتحقيق أهدافه. حيث دأب الكريتلي على كسب ولاء وود عناصر الحامية التركية عن طريق الأموال التي جمعها من الفرنسيين نظير مساعداته و خدماته لها، و بذلك تمكن من السيطرة على الحامية و الخروج عن طاعة القوات الفرنسية. شعر أحمد باي بالخطر و ذلك بسبب منافسة إبراهيم الكريتلي له على زعامة بايلك الشرق فوجه إليه حملة عسكرية يترأسها الخزناجي بن عيسى الذي تمكن من دخول المدينة بمساعدة القبائل الموالية له بعد محاصرته للحامية التركية و هو ما أجبر الباي إبراهيم على الاعتصام في القصبة. بقي الباي إبراهيم تحت حصار قوات بن عيسى بالرغم من وصول القوات الفرنسية لعنابة بقيادة الجنرال بيرتيزن(Barthezène) . كما تمكن النقيب دارماندي(Darmandy) من مخادعة بن عيسى و دفعه لإبرام هدنة معه في انتظار رد الجنرال دو روفيقو(De Rovigo) على مقترحات أحمد باي. وفي هذه الأثناء وصل القائد يوسف بن مملوك من تونس بعد شرائه الخيول و هذا ما أدى إلى مشادات عنيفة بين الأتراك الموالين ليوسف و الأتراك الموالين للباي إبراهيم. نتج عن هذه المشادات سيطرة القوات الفرنسية على مدينة عنابة بعد وصول تعزيزاتها الأمنية مما أدى إلى انسحاب جيوش بن عيسى نحو قسنطينة[2].

كما تمكن الباي إبراهيم من الهروب نحو جبال المجاورة لمدينة عنابة متجها منها إلى تونس حيث تمكن من تجميع جيشا لمواجهة القوات الفرنسية في مدينة عنابة. لكن القوات الفرنسية

---

[1] بورمضان عبد القادر، الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1830م-1832م، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد 44، 2020، ص132-144.

2 بورمضان عبد القادر، الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1830م-1832م، نفسه، ص 139.

تمكنت من القضاء على هذا الهجوم و دفع إبراهيم الكريتلي على الهرب إلى المدية حيث وافته المنية هناك سنة 1834م.

أما مصطفى بومرزاق نُفي إلى الإسكندرية مسقط رأسه بعد إلقاء القبض عليه من قبل السلطات الفرنسية بعد غزوهم مدينة المدية سنة 1830م.أما ابنه فتصاهر مع أحمد باي و غدر به و قام بسرقة كمية من المال، ثم قام باللجوء إلى الأمير عبد القادر، و عند اكتشاف هذا الأخير أمره قام بسجنه لكنه نجح بالفرار و الالتحاق بالقوات الفرنسية[1].

الصراع مع فرحات بن السعيد

تحتل منطقة الزيبان موقعا جغرافيا متميزا حيث تُعتبر بوابة الصحراء من الناحية الشرقية، وتعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب وهي محدودة بسلسلة جبال الزيبان و الأوراس شمالا ووادي الجدي وشط ملغيغ جنوبا. وتحدها من الغرب هضبة أولاد جلال أما شرقا فنجد واد العرب و خنقة سيدي ناجي وحدود الأوراس، وهي تمتد على مسافة 200كم من الشرق إلى الغرب وما بين 40 و 70 كم من الشمال إلى الجنوب. كانت منطقة الزيبان تابعة لبايلك الشرق، لكن ضمن نفوذ شيخ العرب، وهو نظام استحدثه العثمانيين في المنطقة حيث كان يعتمدون على شيوخ العرب من أجل بسط نفوذهم و جمع الضرائب. وكانت عائلة بوعكاز تحتكر هذا المنصب منذ بداية العهد العثماني[2]. ولكن مع تعيين أحمد القلي محمد الحاج بن قانة في منصب مشيخة للعرب سنة 1762م بعد أن انتزعها من الذواودة فإن خليفته إبراهيم باي الذي تولى الحكم سنة1827 م، قد أعادها إليهم وعين فرحات بن سعيد في منصب شيخا للعرب لكن ذلك لم يستمر طويلا، فبعد مدة قصيرة تم عزل إبراهيم باي من طرف الداي حسين وعين مكانه أحمد باي الذي أعاد بدوره المنصب إلى عائلة بن قانة ، فشن عندئذ فرحات بن سعيد حربا على أحمد باي من أجل استرجاع منصبه وتحالف مع

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 67.
[2] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص92-105.

الباي المعزول إبراهيم الكريتلي[1]. لكن الحاج أحمد باي استطاع أن يلحق بهما الهزيمة ، مما أدى إلى انسحاب سعيد بن فرحات إلى منطقة أولاد جلال ، حيث واصل هجوماته و غاراته على أحمد باي طيلة سبع سنوات، مستعينا بسكان وادي جدي في ذلك. استغل فرحات بن سعيد فترة انتقال معظم قوات أحمد باي إلى العاصمة للدفاع عنها ضد الفرنسيين فقام بالسيطرة على المنطقة و إخضاعها لنفوذه، وانشغل بعد ذلك أحمد باي في مواجهة الاحتلال الذي كان يتقدم باتجاه قسنطينة، أما بوعزيز بن قانة فقد كان يتطلع لإخضاع منطقة الزيبان كلها و تحييد غريمه فرحات من سعيد. و بعد سقوط قسنطينة سنة 1837م، قرر الحاج أحمد باي التوجه نحو الشمال لقطع الإمدادات على السلطات الفرنسية ، لكن خاله السيد بوعزيز بن قانة أقنعه بالتوجه نحو الجنوب للقضاء على تمرد فرحات بن السعيد من أجل استعادة منطقة الزيبان و اتخاذها قاعدة لاستعادة قسنطينة[2]. توجه أحمد باي إلى بسكرة و عند وصوله لمنطقة الوطاية بلغ مسامعه عن تحالف فرحات بن السعيد مع قبيلة أولاد عبد النور و الحضنة ، حيث قام بمضاعفة استعداداته.

كانت المواجهة بين الطرفين في منطقة الصحيرة ، حيث انهزم فرحات بن السعيد[3].

بعدها توجه هذا الأخير للفرنسيين من أجل طلب الدعم ، لكن الفرنسيين رفضوا مساعدته و هذا ما نتج عنه توجهه إلى الأمير عبد القادر معلنا له الطاعة فأرسل له الأمير قوة من الفرسان بقيادة خليفته محمد البركاني تقدر بحوالي 1700 رجل ، و هذا ما ساعدهم في احتلال مدينة بسكرة مما أدى إلى انسحاب الحاج أحمد وأولاد بن قانة منها. بعد خروج أحمد باي من بسكرة قام الأمير بتعيين الحسن بن عزوز ممثلا وخليفة له على المنطقة مما أدى على غضب فرحات بن السعيد حيث اتصل هذا الأخير مرة أخرى بالفرنسيين عن طريق الجنرال فالي. فألقى عليه الأمير عبد القادر القبض و قام بسجنه في تاقدامت[4].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص152.
[2] أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص102.
[3] بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص145.
[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص57.

خيانة كل من بن عيسى و بن قانة

يعتبر استسلام كل من خليفة أحمد باي بن عيسى و خاله بوعزيز بن قانة للسلطات الفرنسية القشة التي قسمت ظهر البعير بالنسبة للحاج أحمد باي . فبعد استسلام بن عيسى للقوات الفرنسية قامت هذه الأخيرة بتعيين قائدا و خليفة على النقطة الساحلية للشمال القسنطيني، كما قامت بإرساله كمبعوث للحاج أحمد باي من أجل حثه على الاستسلام غير أنه رفض هذا الطلب لأسباب شخصية.

أما خاله و صهره بوعزيز بن قانة فكما جاء على لسان أحمد باي في مذكراته:"... **عندما صاح بوعزيز بن قانة قائلا: ماذا تريدون أن تفعلوا تبتعدون عن بلدكم، و تتوجهون نحو الشمال، إذن فأنتم لا تعلمون أن فرحات بن سعيد يقترب بسرعة من الزيبان، و في الوقت الذي تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة فإنكم تعرضون أنفسكم للطرد من منطقتكم و لذلك يجب أن نسرع إلى الصحراء، ندخل عائلاتنا و من اتبعنا إلى المدن ثم نخرج متحدين ضد العدو الذي نخشى هجومه أكثر فالفرنسيون لم يتقدموا، بينما فرحات يزحف علينا، و من ثمة يجب أن نبدأ بمحاربته و بعد ذلك نوحد قوانا، و نهاجم الفرنسيين لم أستحسن هذه الفكرة ، و لكن لم يكن لي أهل – عدا أبنائي– أقرب من بوعزيز، فلم أكن أعتقد أنه يستطيع أن يقترح علي ما من شأنه أن يضرني، و عليه انضممت إلى رأيه، و لو ان الله هداني في ذلك الوقت لفهمت أنه يريد جلبي إلى الصحراء ليأخذ أموالي عن اخرها...و أكرر لقد اتبعتُ رأي بوعزيز و كان ذلك هو مصابي الأعظم**"[1].

5- طبيعة العلاقة بين الحاج احمد باي والأمير عبد القادر

رغم أنهما رمزين من رموز المقاومة الوطنية غير أن العلاقة بين الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر اتسمت بالتباين في المواقف فتارة تتميز بالتقارب وتارة أخرى تتميز بالتباعد. غير أن التقارب بين الأمير والسلطات الفرنسية الذي بدأ بتوقيع معاهدة دي ميشيل عام 1834م

[1] أحمد باي، المصدر السابق، ص77.

أثر سلبا على العلاقة بين الزعيمين ، لتأتي معاهدة التافنة عام 1837م[1] التي اعتبرها أحمد باي خيانة كبرى للجزائر قاطبة وعملا عدوانيا ضده واعتبر أن الأمير متفق مع فرنسا للقضاء على سلطته في الإقليم الشرقي[2].

كما أكد الحاج أحمد باي أن الأمير كان طامعا في بسط نفوذه على قسنطينة فوعد الفرنسيين بتسليمهم أحمد باي حيا مقابل حصوله على المدينة.

برر الأمير عبد القادر تقاربه مع السلطات الفرنسية في رسائل بعثها إلى الباب العالي بأنه ليس متفقا مع الفرنسيين لكنه يستعمل الحيلة والمراوغة ليتسنى له إعادة تنظيم دولته[3].

ومهما كانت دوافع الأمير عبد القادر لهذا التقارب مع الفرنسيين فإنه أغفل استفادتهم من الهدنة حيث قاموا بتجهيز حملتين على الحاج احمد باي على مرأى ومسمع منه ولم يحرك ساكنا من تهاوي البايلك الشرقي.

لم تكن لفرنسا مصلحة في تقارب الحاج احمد باي مع الأمير عبد القادر حيث سعت إلى عقد هدنة مع كل منهما لتجعل منهما حاجزين في وجوه بعضهما البعض فعرضت الهدنة عليهما (كل واحد على حدى)[4]. رفض الحاج احمد باي هذه الهدنة منتظرا موقفا مماثلا للأمير حتى يتسنى جمع الشمل وتوحيد الصف بينهما ويتم دحر القوات الفرنسية على أبواب قسنطينة[5]. غير أن الأمير خيب ظن الحاج أحمد باي ولم يرسل له أي مساعدات عسكرية تدعمه في مقاومة الفرنسيين بل ووقع معهم معاهدة التافنة (1837م) وتركه وحيدا في مواجهة جحافل الفرنسيين القادمة من الجزائر ووهران وفرنسا.

---

[1] شارل هنري تشرتشل ، المرجع السابق، ص130-131

[2] عبد الجليل تميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، 1816-1871 ، تونس 1971 ، ص 255

[3] عبد الجليل تميمي ، نفسه، ص202.

[4] اسماعيل العربي ، المرجع السابق، د س، ص 142.

[5] توفيق المداني ، أبطال المقاومة الجزائرية، دس ، ص102

بعد فوات الأوان طالب الأمير باسترداد قسنطينة من فرنسا باعتباره أولى من فرنسا في توليه المسلمين غير أنها رفضت طلبه بحجة أنها أخذت قسنطينة من أحمد باي وليس منه أن هذا الأمر كلفها الكثير من المال والرجال[1].

كما اتسمت مواقف الأمير بالسلبية تجاه الحاج أحمد باي ما زاد في اتساع الهوة بينهما وهو الأمر الذي تصبو إليه السلطات الفرنسية ، حيث تجلت هذه السلبية في طمع الأمير لبسط سيطرته على البايلك الشرقي من خلال حملة سيَرها الأمير نحو قسنطينة قادمة من تاقدامت. كما قام الأمير بتأليب قبائل الشرق على الحاج أحمد باي محاولا بذلك تجريده من حلفائه[2].

راسل الأمير عبد القادر عديد القبائل بعد عودته من حصار عين ماضي يطالبها بتقديم الولاء والطاعة له ، وفي ذلك رغبة منه في استمالة القبائل لصالحه على حساب أحمد باي حيث هدد الأمير هذه القبائل بأنه أصبح حليفا لفرنسا وإن لم تقدم له الولاء فسوف تقع بين مطرقته وسندان الفرنسيين[3].

عموما تميزت العلاقة بين الحاج احمد باي والأمير عبد القادر بالتناحر والعداوة ، هذه العداوة التي لم تخدم مُطلقا المصلحة الجزائرية بل طغى حب الزعامة من كليهما ، رغم ان ظروف البلاد كانت تقتضي في تلك الفترة تكاتف الجهود وجمع الصفو ضد العدو الفرنسي.

6- فشل المقاومات الشعبية في وقف زحف الاحتلال في شمال الإقليم

أ- مقاومة الشيخ زغدود 1841م-1843م

كان الشيخ زغدود من الرواد الذين شاركوا في المقاومات الأولى ضد الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة إلى جانب بلقاسم بن يعقوب وقوات أحمد باي بقيادة بن عيسى واعتُبرت مقاومته من أشهر المقاومات في الجهة الشرقية.

---

[1] توفيق المداني ، نفسه، ص113.
[2] تميمي عبد الجليل ، بايلك قسنطينة ، وثيقة رقم 18 ، ص 255
[3] أحمد باي، المصدر السابق ، ص80

ويعود السبب المباشر لهاته المقاومة هو عزل قائد منطقة الإيدوغ المدعو سي كرميش وتعيين الصبايحي بن بركوش مكانه وهو من صنائع الاحتلال. رفضت أعراش منطقة إيدوغ هذا التغيير ولم تعترف بقيادة الصبايحي بن بركوش وامتنعت عن تقديم الضرائب له ، لتأمر السلطات الفرنسية الضابط أولوم(Alleaume) بتنظيم حملة عسكرية تأديبية على الأعراش. وصلت الحملة إلى منطقة بني محمد يوم20 جوان 1841م ونصبت خيامها وطلبت من الشيخ زغدود دفع ضرائب قومه فماطلهم حتى الظهر بحجة جمعها ليحس الضابط الفرنسي بالريبة وطلب من القائد بن بركوش الانسحاب إلى عنابة ، أثناء هذا الانسحاب أطلق عليه الشيخ زغدود وابلا من الرصاص قُتل على إثره الضابط أولوم إضافة إلى ثلاثة من الصبايحية التابعين للقائد سي بركوش بينما تمكن هذا الأخير من الفرار.

وصل خبر مقتل الضابط أولوم (Alleaume) إلى القائد العام في عنابة الجنرال لا فونتين(La Fontaine) صبيحة اليوم الموالي ليجهز هذا الأخير حملة من 500 جندي خرج على رأسها شخصيا نحو عرش بني محمد للانتقام من الشيخ زغدود غير أنه استعد للمواجهة جيدا فحقق الانتصار وغنم من المعركة عدة خيم عسكرية و حوالي ثلاثين بين خيل وبغال إضافة إلى بعض الأسلحة[1].

بعد هذه الخسارة التي مُني بها دو لافونتين(La Fontaine) خلفه العقيد سنيلهس (Senilhes) بالنيابة في قيادة عنابة حيث كلف بن بركوش بجمع الضرائب و العشور رفقة عشرة من قومه الصبايحية فهاجمهم الشيخ زغدود وقتل بعضهم وتمكن بن بركوش من الفرار ثانية غير أن مصيره كان السجن.

أعلن الشيخ زغدود الثورة على الفرنسيين من الإيدوغ وعزم على مواصلة الكفاح فازداد عدد أنصاره وشرع يحث الناس على الجهاد وملأهم حماسا وشحذ هممهم بحماسه لتلتف حوله عديد القبائل أمثال: أولاد الحاج ، وبني صالح وبني ساس ...إلخ. كما ساعده أحد إخوانه

[1] بورمضان عبد القادر ، بورغدة رمضان ، المرجع السابق ، ص549.

من جيجل. اعتمد الشيخ زغدود في مقاومته على حرب العصابات وتخريب المصالح الاستعمارية كتخريب الطريق الرابط بين عنابة و الحروش وقطع أسلاك الهاتف كما استطاع جمع جيش قوامه 6500 مقاتل[1].

وبسبب فشله في القضاء على الشيخ زغدود عُزل سنيلهس (Senilhes) عن قيادة عنابة وعُين مكانه الجنرال راندون(Randon) يوم 04 أكتوبر 1841م فنظم حملة عسكرية ضخمة لملاحقة الشيخ زغدود الذي انتقل من منطقة الإيدوغ بعد تخريبها من طرف الجنرال راندون(Randon) واستقر في منطقة سكيكدة ، حيث جمع ألفي فارس بمساعدة مرابط يسمى ولد غزالة وهاجم يوم 20 ماي 1842م معسكر الفرنسيين في الحروش غير أن الفرنسيين ردوا عليه بسلاح المدفعية مما سبب خسائر كبيرة في صفوف مقاتليه ، ورغم هذه الخسائر واصل المجاهدون التقدم بعزيمة عالية محاولين اختراق الخنادق إلا أنهم فشلوا في هذا المسعى لينسحب الشيخ زغدود تاركا وراءه مئات الشهداء مما سبب انهيارا في الروح المعنوية للقبائل.

رغم الهزيمة الكبيرة للشيخ زغدود في الحروش إلا أنه دعا رجال الجبال إلى مواصلة الجهاد وخطط لهجوم على مدينة سكيكدة . لكن تطبيق الفرنسيين سياسة الجنرال بيجو(Peugeot) (الأرض المحروقة) ومصادرة الخيول والمواشي مما جعل الشيخ زغدود يتجنب المواجهة المباشرة مع الفرنسيين ويعود إلى أسلوب حرب العصابات حيث فقد أحد كبار مساعديه (بن زعطوط) يوم 13 ديسمبر 1842م.

ضاعف الشيخ زغدود من هجماته مطلع العام 1843م إلا أن القوات الفرنسية ضيقت الخناق على مقاومته ، ففي شهر فيفري 1843م قاد الجنرال براغواي(Paraguay) دهيلي قائد منطقة قسنطينة حملة عسكرية على منطقة زردازة بمساعدة قوات من سكيكدة و عنابة و قالمة للقضاء على ثورته.

---

[1] بورمضان عبد القادر ، بورغدة رمضان ، المرجع السابق ، ص549.

إن سياسة الأرض المحروقة التي مارستها فرنسا خلال حصارها لثورة الشيخ زغدود إضافة إلى الهجوم على قبيلته بني محمد بمنطقة سيدي عكاشة أواخر فيفري 1843م الذي أودى بحياة ما لا يقل عن مائتي رجل عجل بضعف مقاومته.

كما يجدر الذكر أن الشيخ زغدود تعرض لخيانة كاتبه محمد بن يحيى الذي تواصل مع السلطات الفرنسية ووشى لها عن مكانه. ليخرج العقيد بارتيليمي (Parthelemy)على رأس قوة عسكرية وحاصر الشيخ زغدود الذي حاول الهرب لكنه فشل في ذلك و أُطلق عليه الرصاص وقُبض عليه رفقة زوجته وأبنائه الأربعة. فقُطع رأسه من طرف أحد أتراك الحملة وهو عمار بن عبد الله كما تم قطع مقبضه من طرف أحد الشباب. و الظاهر أن هذا الشاب كان على مقربة منه على رواية زوجته. أُخذ رأس الشيخ زغدود وعُلق على وتد و حُمل إلى قسنطينة حيث عرضته السلطات الفرنسية بساحة المدينة[1].

ب- مقاومة الشيخ الحسناوي 1832م-1849م

شارك الشيخ الحسناوي في المقاومات التي تزامنت مع الحملات الفرنسية على عنابة خاصة الحملة الثانية سنة 1831م ، فقد استقر هذا الأخير في الكاف بتونس بعد احتلال المدينة سنة 1832م . ثم عاد إلى القالة وأعلن الثورة بين 1832م و 1836م. حيث عُين الشيخ الحسناوي نائبا للشيخ الرزقي زعيم قبيلة الحنانشة من طرف أحمد باي غير أنه تخلى عن هذا المنصب وعاد إلى تونس.

بقيت منطقة الحنانشة بسوق أهراس بعيدة عن التهديدات الفرنسية ولهذا لم يقدم الشيخ الرزقي مساعدات للشيخ أحمد باي لاستعادة عنابة ، وفي خضم هذه الأحداث ظهر الشيخ الحسناوي الذي خاض حربا ضد الاستعمار الفرنسي وأخرى ضد الشيخ الرزقي حول زعامة قبيلة الحنانشة ، إذ تواصل الشيخ الرزقي مع الجنرالات الفرنسيين للتحالف معهم والقضاء على الشيخ الحسناوي.

---

[1] بورمضان عبد القادر ، بورغدة رمضان ، المرجع السابق ، ص 550.

سيطر الشيخ الحسناوي على منطقة سوق أهراس فقام العقيد ميرباك بتوجيه قوة عسكرية إليها فما كان من الشيخ الحسناوي سوى الانسحاب نحو مجردة أين لقي المساعدة من قبائل الخمير التونسية (أولاد عون و أولاد خيار). قام الشيخ الحسناوي بتحرير سهل عنابة سنة 1838م إلا أنه بقي مهدَدا من السلطات الفرنسية فاتصل بأحمد باي وطلب منه المساعدة لكنه لم يلب طلبه نظرا للظروف السيئة التي يمر بها بعد سقوط قسنطينة.

في أواخر 1838م انسحب الشيخ الحسناوي إلى منطقة بني مزلين بقالمة ودارت بينه وبين الصبايحية بقيادة هيربيلون معارك شرسة. وفي 1839م انتقل نحو أولاد يحيى شمال تبسة أين أعاد تنظيم صفوفه بمساعدة القبائل التونسية[1].

في 14 ماي 1843م عبئت السلطات الفرنسية حملة عسكرية للقضاء على مقاومة الشيخ الحسناوي ، انطلقت هذه الحملة من قسنطينة و قالمة و سكيكدة و عنابة وتم تقسيمها إلى قسمين : الأولى بقيادة براغواي(Paraguay) والثانية بقيادة سنهيل (Senihels). هاجمت الفرقتان قبيلة الحنانشة وتمكن الشيخ الحسناوي من التصدي لهجوم الفرنسيين.

وفي عام 1845م أعاد الشيخ الحسناوي تنظيم قوته غرب تبسة وهاجم الفرنسيين بمنطقة الدير حيث ألحق بالجنرال راندون هزيمة نكراء. تمكن الشيخ الحسناوي من الصمود في وجه الفرنسيين بمساعدة قبائل الحنانشة و النمامشة وبعض القبائل التونسية ما جعل السلطة الفرنسية تضغط على باي تونس لغلق الحدود.

في عام 1847م جهز الجنرال بيدو(Bidon) قائد منطقة قسنطينة قوة عسكرية قوامها 10000 عسكري وفرض حصارا شديدا على الشيخ الحسناوي حتى قُبض عليه في شهر أوت 1849م[2]

---

[1] بورمضان عبد القادر ، بورغدة رمضان ، المرجع السابق ، ص 548.

[2] بورمضان عبد القادر ، بورغدة رمضان ، المرجع نفسه ، ص 552.

الخاتـــمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

- ثار الأمير عبد القادر على الغزو الفرنسي لغرب البلاد وحاول بكل ما أوتي من جهد التصدي للحملات المتكررة لجنرالات فرنسا حيث أفلح أحيانا وفشل أحيانا أخرى حيث حقق انتصارات باهرة في عديد المعارك مما دفع بالفرنسيين إلى توقيع الهدنة معه لأكثر من مرة.
- حقق الأمير هذه الانتصارات بفضل سياسته الرشيدة وخبرته العسكرية والسياسية والمكللة بالإقدام وقوة العزيمة مكنته من إحراز الانتصار على جحافل الجيوش الفرنسية.
- كما تمكن الأمير تحقيق التفوق بفضل التفاف الأهالي وزعماء القبائل حوله وعمهم له بالرجال والسلاح خصوصا بعد مبايعتهم له أميرا عليهم سنة 1832م فقد سارعت جميع القبائل الموالية له بتقديم الهدايا والمساعدات.
- بفضل هذا الالتفاف والتلاحم بين الأمير وقبائله توسعت شعبيته وازدادت قوته العسكرية التي استعملها بكل حكمة وحسن تدبير ويوجه ضربات موجعة للقوات الغازية.
- رغم كونه سليل طريقة صوفية تربى على الزهد والتصوف وتشبع بتعاليم السلام والتسامح إلا أن الأمير كان شديدا صارما على العدو الفرنسي أذاق جنرالاته مرارة الهزيمة وأصلى جيوشه نيران الخسائر لمرات عديدة وهو ما جعله يحظى باحترام الأعداء قبل الأصدقاء وينال صفة المجاهد رغما عن الحاقدين.

ورغم كل ما أحرزه الأمير عبد القادر من انتصارات وتأسيس جيش منظم وحديث فقد تعرض للعديد من الهزات التي زعزعت استقراره مما أدى إلى تقهقره :

- الخيانات المتعددة التي تعرض لها الأمير من طرف من ظنهم مقربين منه أفرادا كانوا ام قبائل ما أدى إلى دخوله في صراع داخلي أثر سلبا على المقاومة.
- فقد تعرض الأمير لخيانة بعض القبائل المتمركزة في مناطق حساسة من مناطق نفوذه كقبائل المخزن المستقرة في الممرات و المعابر الحساسة المؤدية إلى مراكزه الإستراتيجية من مدن هامة ومصانع ومخازن. وقبائل الزمالة والدوائر في وهران التي دخلت في صراع مع الأمير ما جعلها تتعامل مع الفرنسيين وتكشف العديد من خططه.

- كما يجدر الذكر أن نقض الفرنسيين للمعاهدات الموقّعة بينهم وبين الأمير عبد القادر ومباغتته في غفلة منه أدى إلى تلقيه ضربات إذ لم تعمِر معاهدة دي ميشال لأكثر من ستة أشهر ليقوم الجنرال تريزيل بنقضها ويستأنف القتال على الأمير. وقد لاقت معاهدة التافنة الموقعة بتاريخ 30 ماي 1837م نفس المصير حيث نقضتها الحكومة الفرنسية في نوفمبر من نفس السنة بهجومها على قسنطينة.
- سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها الجنرال بيجو الذي أمر بحرق القرى و المداشر الجزائرية إضافة إلى نهب و مصادرة مخازن المؤن وقطعان الماشية لدى الجزائريين ما أدى إلى تجويع الأهالي ما يجعلهم يتخلوا عن الأمير عبد القادر و مقاومته حسب الفرنسيين.
- ساهمت كل هذه العوامل إلى تهاوي مدن الأمير عبد القادر لينتهي الأمر باكتشاف زمالته وقصفها بتاريخ 16 ماي 1843م حيث شكل هذا الحدث بداية النهاية لمقاومة الأمير عبد القادر بسبب الخسائر المادية الفادحة وانهيار الروح المعنوية التي خلفها سقوط الزمالة. فبقي استسلامه مسألة وقت حيث قضى آخر أيام مقاومته مُطارَدا من طرف القوات الفرنسية حتى استسلامه منتصف العام 1847م.

وعلى غرار الأمير عبد القادر في البايلك الغربي كان الحاج أحمد باي من أول من تصدوا للغزو الفرنسي في البايلك الشرقي حيث دافع وبكل إقدام على عاصمته قسنطينة واستبسل في الذود عنها ولم يدَخر جهدا ولا مالا في ذلك ، وقد تمكن من توجيه ضربات موجعة للقوات الفرنسية في مناطق عديدة من البايلك خصوصا على أسوار قسنطينة.

- مكنته الإمكانيات المعتبرة من أسلحة نارية وسلاح المدفعية من تحقيق التفوق حيث أطاح بالقوات الغازية في معركة ضارية على مشارف قسنطينة في نوفمبر 1836م وكبدها خسائر فادحة.
- تمكن الحاج أحمد باي من تحقيق هذا التفوق بفضل حنكته في التخطيط للمعارك مدعمة بجرأته وإقدامه منقطعيْ النظير.

- كان الحاج أحمد باي مُحاطا بعدد من القبائل الرئيسية والعائلات ذات النفوذ الواسع والصيت الذائع ما سمح له من جمع عدد معتبر من المقاتلين وتكوين جيش تحت قيادة سديدة وتسليح متين.
- إن اهتمام الحاج احمد باي بالجانب العسكري عشية وصول القوات الفرنسية إلى الشرق الجزائري من حيث زيادة عدد أفراد الجيش وتشييد الصروح العسكرية وتوفير الأسلحة مكنه من الصمود في وجه القوات الفرنسية.
- تعلم الحاج أحمد باي الفروسية وفنون القتال منذ نعومة أظافره كما أنه تقلد عديد المناصب السامية (سياسية وعسكرية) ما جعل منه شخصية فذة قادرة على تحمل الكبات و مجالدة العقبات وأرهقت كاهل الحكومة الفرنسية لما يقارب العقدين من الزمن كما تمكنت من إرباك جنرالاتها حتى بعد سقوط عاصمة البايلك قسنطينة سنة 1837م.

توالت النكبات على الحاج أحمد باي مما أدى إلى إضعاف قوته داخليا وخارجيا :

- فقد تعرض لعديد الخيانات من بعض مقربيه كخاله بوعزيز بن قانة و خليفته بن عيسى، و خصومه كفرحات بن سعيد في الزيبان و ابراهيم الكريتلي في عنابة الذين تآمروا مع جنرالات فرنسا.
- تآم فرنسا مع باي تونس على الحاج أحمد حيث قام باي تونس بغلق حدوده مع البايلك الشرقي كما حبس مساعدات السلطان العثماني الموجهة لأحمد باي بغرض مساعدته في الحرب على فرنسا.
- يجدر الذكر أن مضاعفة عدد الجيوش الفرنسية في المنطقة الشرقية أدى إلى انهيار دفاعات الحاج أحمد باي في قسنطينة ، حيث استفادت الحكومة الفرنسية من توقيع معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر ما سمح لها من سحب قواتها من الغرب الجزائري وتوجيهها لضرب عاصمة البايلك الشرقي.
- إن سياسات الأرض المحروقة و فرق تسد ، إضافة إلى الدسائس و الحزازات التي زرعتها فرنسا في جسد الشعب الجزائري أدت إلى تمزيق لحمته وتفريق مكوناته وزيادة روح العداوة بين أفراده ما تسبب في القضاء على المقاومات الشعبية وفشلها في

التصدي للعدو الفرنسي الذي تمكن من بسط سيطرته على التراب الجزائري كغيره من الشعوب الإفريقية حيث مكث لعقود طويلة ينهب خيراته ويستعبد أبناءه.

الملاحـــــــــق

الملحق رقم (01): معاهدة ديميشيل

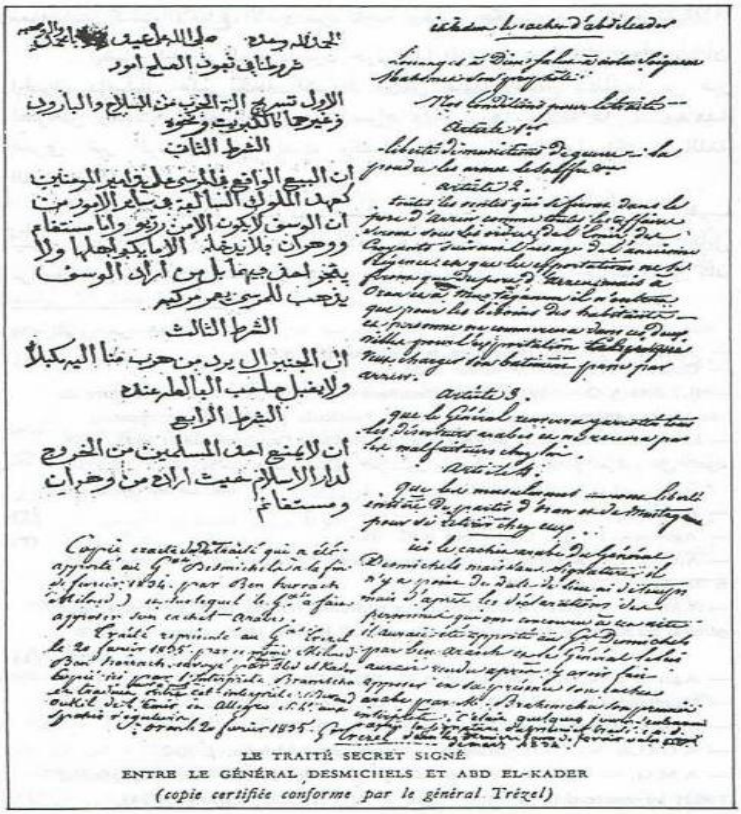

LE TRAITÉ SECRET SIGNÉ
ENTRE LE GÉNÉRAL DESMICHELS ET ABD EL-KADER
(copie certifiée conforme par le général Trézel)

المرجع السابق :أديب حرب، المرجع السابق، ص129

الملحق رقم (02): معاهدةالتافنة

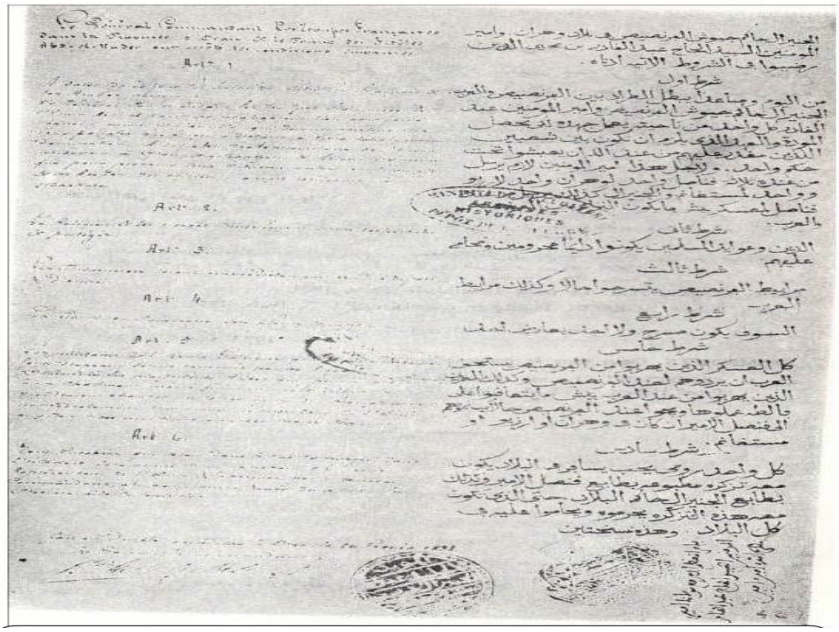

المرجع: سليمة كبير، المرجع السابق،ص24

الملحق رقم (03): راية الأمير عبد القادر

المرجع :أديب حرب، المرجع السابق، ص41

الملحق رقم (04): راية الحاج أحمد باي

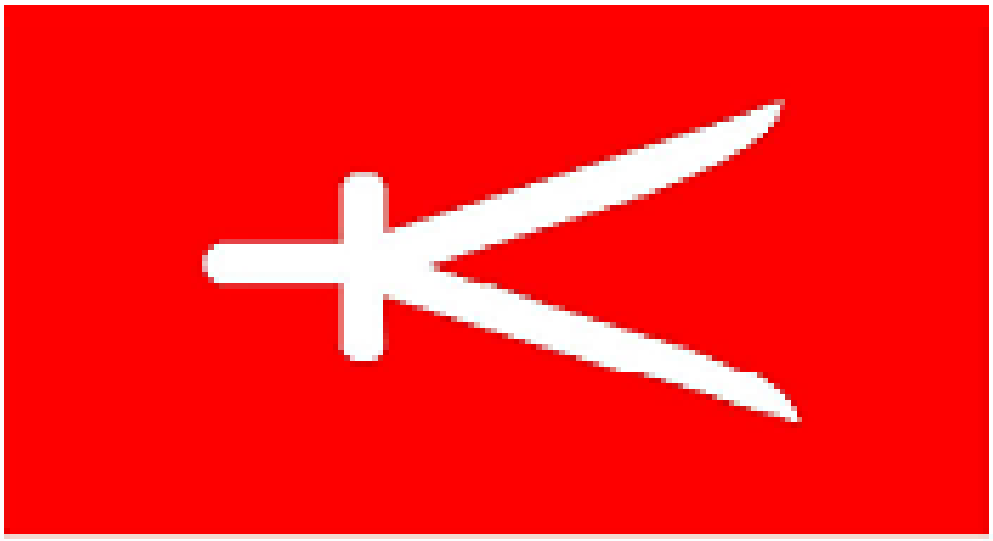

المرجع :عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص65

الملحق رقم (05):حدود إقليم بايلك الشرق

المرجع : عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص35

الملحق رقم (06): قطع من سكة أحمد باي

المرجع : عمار بن محمد بوزير،،نفس المرجع ، ص34

المصادر و المراجع

1. قائمة المصادر باللغة العربية

1- أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المداني ط2،(1745م-1830م) ، الجزائر ، 1980.
2- أحمد باي، مذكرات أحمد باي ،، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1981،2.
3- سانت أرنو ، مذكرات المارشال سانت أرنو 1832-1841 ، ج 1، ترجمة ، عبد القادر ليف، دار المعرفة، الجزائر 2013.
4- سكوت ، مذكرات الكولونيل سكوت أثناء اقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841، ترجمة اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981 .
5- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر و تق وتع أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط.خ، 2009.

6-فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام احمد باي 1832م – 1837م ، تر و تق ، أبو العيد دودو ، الجزائر ، 2007 .

2. قائمة المراجع باللغة العربية

❖ الكتب

1- إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ط3 ، الجزائر ، 2007.
2- أبو العباس بن خالد الناصري ، الاستقصاء لـأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية ، ج و تح : جعفر الناصري، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1956.
3- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، القسم الأول ، الفترة الحديثة والمعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1988 .
4- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر.
5- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا- تونس-الجزائر- المغرب-موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت، 2000.
6- احميدة عميراوي ، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث ، 2002.
7- أديب حرب ، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر ، ج1 ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2005
8- أديب حرب ، التنظيم العسكري والإداري للأمير عبد القادر ، ج2 ، دار الرائد للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 2005 .
9- أرنستو تشي غيفارا ، حرب الغوار ، تر ، فؤاد أيوب ، علي الطود ، بيروت.
10- اسماعيل العربي ، الامير عبد القادر مؤسس دولة وقائد جيش ، الجزائر ، 2007.
11- اسماعيل العربي ، العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

12- إسماعيل العربي ، المقاومة الوطنية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 .
13- إسماعيل حمت ، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر ، تق وتر ، علي تابليت وآخرون ، دار أبي قراق ، الرباط 2010 .
14- آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
آغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا ، ج2 ، ص136، تح ودراسة يحيى بوعزيز ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990.
15- آلانستيفنز– نيكولا بيكر ، منطق الحروب واستراتيجيات القرن الـ21 ، تر : أدهم وهيب مطر ، دار رسلان ، دمشق ، 2017.
16- بدر الدين بن شعباني ، أسلحة الأمير عبد القادر ، مذكرة ماجيستير ، قسم الآثار ، الجزائر ، 2009 .
17- برونو ايتييه، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، لبنان، 1997.
18- برونو إيتييه ، الأمير عبد القادر الجزائري ، تر: ميشيل خوري ، ط2، دار الفرابي ، بيروت ، 2001
19- بسام العسلي ، المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830م-1838م ، دار النفائس ، ط3 ،1989
20- بسام العسلي ، جهاد الشعب الجزائري ، الأمير عبد القادر، دار النفائس ، بيروت ، 1986.
21- بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، ط1، بيروت لبنان، 1980.
22- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م – 1989 م ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006
23- بوعزة بوضرساية ، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830م-1848م ، دار الحكمة .
24- جمال قنان ، دراسات في المقاومة والاستعمار ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، مطبعة المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والتوزيع ، الجزائر .
25- جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830م-1962م، تر. قندوز فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث، الجزائر.
26- الحاج مصطفى بن التوهامي ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، يحيى بوعزيز ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.
27- حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث، الشركة العربية المتحدة، دس.
28- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الاوروبية و نهاية الإيالة 1815-1830، دار الهدى الجزائر، 2007.
29- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م-1871م، مطبعة الجزائر، 2013.
30- دلندة الأرقش و آخرون ، المغرب العربي الحديث ، مركز النشر الجامعي ، 2003
ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007
31- سليمان عشراتي ، الأمير عبد القادر السياسي ، ط3، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2009.
32- سليمة كبير ، الحاج أحمد باي الصامد في وجه القوات الفرنسية ، المكتبة الخضراء للطباعة و النشر والتوزيع، 1998.
33- شارل أندري جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار 1827 – 1830 ، تر. جمال فاطمي ، دار الأمة الجزائرية، ج1 .

34- صالح بن قبي ، النظم المدنية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر ، مجلة مسالك ، مؤسسة الأمير عبد القادر ، الجزائر ، العدد 4 ، 1999 .
35- صالح عباد، الجزائر بين فرنسا و الفرنسيين1830م-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
36- صالح فركوس ، الحاج أحمد باي قسنطينة ، دار المطبوعات الجامعية،2007 .
37- صالح فركوس ، تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي ، المقاومة المسلحة 1830م-1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2012 .
38- صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر(1830-1925)، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2010.
39- صلاح حسن الربيعي وآخرون ، استراتيجية الحروب التحريرية الوطنية ، مركز الكتاب الأكاديمي ، الأردن ، 2015 .
40- ع. بن أشنهو ، الدولة الجزائرية في 1830م ومؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر ، تر لعراجي نور الدين ، دار موفم للنشر ، الجزائر.
41- عبد الجليل التميمي ، بايلك قسنطينة ، وثيقة رقم 18 .
42- عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، 1816-1871 ، تونس 1971 ، ص
43- عبد الحميد زوزو ، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير عبد القادر ، دار هومة .
44- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر، 2000.
45- عبد القادر دحدوح ، استحكامات عبد القادر العسكرية 1836 – 1842 ، دراسة تاريخية أثرية ، موقم للنشر ، الجزائر ، 2008
46- عبد الله مقلاتي، المرجع في التاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2014.
47- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمهرب، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1989م.
48- عبدالرحمن بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج3، بيروت، دار الثقافة، 1983.
49- علي تابليت، تاريخ أسطورة المروحة و الاحتلال 29 أفريل 1827م، مجلة الذاكرة، العدد 1، الجزائر، 1994.
50- علي محمد الصلابي ، سيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة ، بيروت ، 2005
51- علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
52- عمار بن محمد بوزير ، مقاومة أحمد باي في الشرق ، ظروفها ، مراحلها ونتائجها ، الجزائر.
53- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر ، من البداية حتى 1962، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1997.
54- عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، الجزائر، 2008.
عمار عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر ، دار ريحانة ، الجزائر 2002 .

55- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، 2009
56- عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995.
57- عمر سعدالله، القانون الدولي الإنساني و الاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
58- عودة يوسف سليمان الموسمي ، جريمة استهداف إثارة الحرب الأهلية ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2018.
59- غالي غربي ، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ، الجزائر ، 2007 .
60- غانم محمد ، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الأسطوغرافيا المغاربية التقليدية ، مجلة الدراسات التاريخية ، الجزائر ، العدد8 ،1993 .
61- ف ، دينيزين ، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ، تر و تق أبو العيد دودو ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2003.
62- فتحي دردار ، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847 ، الجزائر 2001 .
63- قدور بن رويلة ، وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي نقد وتح. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1968م
64- محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة- دراسة جغرافية العمران-، د.ج، د.ط، الجزائر، 1984، ص 14.
65- محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و اخبار الجزائر ، المطبعة التجارية الإسكندرية ، .1993
66- محمد بن عبد القادرالجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية، ط2، لبنان،2005.
67- محمد عيساوي ، الجرائم الفرنسية أثناء الحكم العسكري 1830 – 1871 ، مؤسسة شطيبي ، الجزائر 2005 .
68- مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع و رؤى، دار هومة للنسر والتوزيع، الجزائر، 1986.
69- مصطفى خياطي ، الأمير عبد القادر سجين فرنسا ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر 2013 .
70- ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 192 – 1830 ، ط3 ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2012 .
71- ناصر الدين سعيدوني ، عصر الامير عبد القادر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود ، 2000.
72- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2 ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 .
73- نزار أباظة، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1994.
74- هيثم الأيوبي وآخرون ، الموسوعة العسكرية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، 1997

75- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
76- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.
77- يحيى بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده ، دار البصائر للنشر والتوزيع، د س.
78- يحيى بوعزيز ، بطل الكفاح الأمير عبد القادر ، نشر وتوزيع المكتبة الشرقية ، تونس ، 1957.
79- يوهان كارل بيرنت ، الأمير عبد القادر ، تر: أبو العيد دودو ، دار هومة ، 2009 .

❖ **أطروحات و مذكرات**

1- أحمد بوزيان ، تيارات من آل رستم إلى الأمير عبد القادر ، ط1، دار المدار الثقافية ، البليدة ، 2013 .
2- أحمد مسعودي، الحملة الفرنسية على الجزائر و المواقف الدولية منها (1792-1830) مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر، 2010.
3- بن يوسف التلمساني ، سقوط زمالة الأمير عبد القادر وتراجع نفوذها في السهوب الوسطى ، 1843-1846 .
4- بورمضان عبد القادر، المجتمع و العمران في مدينة عنابة خلال الفترة الاستعمارية(1830م-1900م) أطروحة دكتوراه، جامعة قالمة،2022.
5- بوعزة بوضرساية، المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830- 1930م، أطروحة دوكتوراه ، جامعة وهران، 2004.
6- بوعزة بوضرساية، أحمد باي رجل دولة و مقاوم (1826-1848) مذكرة ماجستير، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 1991.
7- عبد القادر بلغيث ، الحياة السياسية و الإجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014.
8- عبد القادر سلاماتي ، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832م-1847م ، 2008.
9- عثمانية هناء ، القواعد الحربية لدولة الأمير عبد القادر ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، تح : التاريخ المعاصر ، جامعة بسكرة ،2016 .
10- فلة قشاعي،النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771م- 1837م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1990.
11- كريمة حروش، الأمير عبدالقادر و إسهاماته في النهضة العربية بالجزائر و بلاد الشام بين النظري و التطبيقي1832م-1860م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران01، 2018.
12- كميلة دغموش ، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792 ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2014.
13- لغراس عبد الوهاب ، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران، الجزائر،2011.

❖ **المجلات علمية**

1- بهية سيمو ، الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2000 ،
2- بودن غانم ، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين ، مجلة تافزا ، الدراسات التاريخية والأثرية ، 2001 .
3- بوذراع أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م، دراسة عسكرية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرسة، المجلد الرابع، العدد الثالث، جويلية 2002.
4- بورمضان عبد القادر، الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1830م-1832م، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد 44، 2020،
5- بورمضان عبد القادر، بورغدة رمضان، المقاومات الشعبية للاستعمار الفرنسي بناحية عنابة 1832م-1852م، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية،مجلد07، العدد 4،2022.
4- الحسن اليوحي عبد الجليل ، المغرب والجزائر ومواقفهما في الزحف الاستعماري في عهد السلطان المولى عبد الرحمان والامير عبد القادر الجزائري في النصف الاول من القرن 19 م ، مجلة دعوة الحق ، الرباط 2016 .
5- خير الدين سعيدي، موقف الدولة العثمانية من طموحات أحد باي في حكم إيالة الجزائر(1832-1837)، مجلة استنبول للدراسات العربية ، عدد 04، 2021.
6- رابح تركي عمامرة، مجلة الشهاب عبد الحميد بن باديس، مجلة الذاكرة، العدد5 ، 1998م، مجلة الدراسات، 2003.
7- رابح تركي، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، منشورات ANEP، 2001.
8- رامي سيدي محمد ، قراءة في أسباب فشل المقاومات الشعبية في طر الاحتلال ، مجلة قضايا تاريخية ، تلمسان ، العدد 7 ، 2017 .
9- زبير بن سخري، صورة المجتمع المغاربي في رحلة الكولونيل سكوت ، مجلة الموقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 12 ،2017 .
10- سلاماتي عبد القادر ، سياسة فرق تسد في تحطيم المجتمع الجزائري1832-1847 ، الساورة ، الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، العدد 5 .
11- عبد القادر سلاماني ، بيعة الامير عبد القادر : حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية، مجلة الشهاب ، مجلد 04 عدد 02 ، جامعة الوادي ، 2008.
12- كشرود حسان، بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونيل و دي فونتين و الدكتور توماس شو، مجلة قضايا تاريخية العدد 6، 2017.
13- لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية اتجاه القبائل و العائلات المتنفذة في منطقة الزيبان(1830-1844م)، المجلة التاريخية الجزائرية،العدد 05، 2017.
14- لمياء شربال ، نقود الأمير عبد القادر ، 1836-1841 ، جامعة تلمسان ، 2015.
15- لمياء شربال، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة حياته و إنجازاته و سكه للعملة الوطنية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 1، العدد2، جامعة تلمسان، 2013.
16- محفوظ قداش ، جيش الأمير عبد القادر ، تنظيمه وأهميته، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، العدد 75 ، 1983.
17- محمد الخداري ، بلاد المغرب تحت الحكم العثماني ، العدد 22 ، ديسمبر 2013،ص44
18- محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، 1830م-1954م ، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر.

19- محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .
20- محمد بن شوش، الغزو الفكري للجزائر(1830م-1870م)، مجلة المصادر، المركز الوطني في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، العدد8، 2008.

21- محمد ميلودي، المقاومة الجزائرية و الدولة العثمانية1830-1848م، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، المجلد 1 العدد02، 2019.

22- ناصر الدين سعيدوني، الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، سوريا،1981

2. قائمة المصادر باللغة الأجنبية

1- Ch. Ajulien , Histoire d'Algérie contemporaine conquête et colonisation 1827-1871.
2- Chareles Roberbt Aregon, Histoire d'Algérie contemporaine, Edition Dahleb, Algérie, 1994,
3- Derrien , les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours .
4- Derrien , même référence .
5- E. Kaller , le général La Morciere sa vie militaire politique et religieuse , Paris , 1874 .
6- F. Hugonnet , Souvenirs d'un chef de bureau arabe , Paris ,1858.
7- Henry Charles , la bataille d'Isly (14 Aout 1844) , Paris 1895, P96
8- P.Azen , Bugeaud et l'Algérie ed Maginot , Paris 1930 .
9- R. Demont , Histoire de la Conquet de l'Algerie de 1830 -1847, op-cit.
10- R. Germain , La politique indigéne du Bugeaud , ed Larousse , Paris 1955.
11- Saint- Armande de Leroy. Lettres du Marechal de saint –Armand 1832-1854 ,Michel 12-
13- Levy .freres Libraires , deuxieme edition, paris.
14- W.Estiray , notice historique sur le Maghzen d'Oran , typographie de Berrier , Paris , 1849 ,
15- Yever . G. correspondance du capitaine Daumas consul a Mascara .1837-1839.Alger .1912.

فهرس العناوين

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	/
الإهداء	/
قائمة المختصرات	/
المقدمة.....	أ-ح
الفصل التمهيدي: الحملة الفرنسية على الجزائر	
تمهيد	08
المبحث الأول: أسباب احتلال الجزائر.....	08
1- الأسباب السياسية.....	08
2- الأسباب الاقتصادية.....	09
3- الأسباب الدينية.....	10
4- الأسباب العسكرية.....	11
5- مسألة الديون الجزائرية على فرنسا.....	11
المبحث الثاني: انطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر.....	14
المبحث الثالث: نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.....	20
النتائج السياسية.....	20
النتائج الاقتصادية.....	21
النتائج الدينية و الثقافية.....	21
النتائج الاجتماعية.....	23
الفصل الأول : حياة الأمير عبد القادر	
تمهيد	25
المبحث الأول : التعريف بالأمير عبد القادر.....	25
مولده	25
نسبه	25
المبحث الثاني: نشأته العلمية.....	27

المبحث الثـالث: مبايعة عبد القادر.....	31
الفصل الثاني : حياة الحاج أحمد باي	
المبحث الأول : مولده ونشأته.....	35
المبحث الثاني : صفات الحاج أحمد باي.....	37
المبحث الثالث : تولي أحمد باي حكم بايلك الشرق.....	40
الفصل الثالث : عوامل القوة والضعف لمقاومة الأمير عبد القادر	
تمهيد	45
المبحث الأول: عوامل القوة لمقاومة الأمير عبد القادر	45
1- شخصية الأمير عبد القادر.....	46
2- تأسيس عاصمة الأمير عبد القادر.....	47
3- حرب العصابات (حرب الكر والفر)	49
4- أهم معارك الأمير عبد القادر.....	51
5- إبرام معاهدة دي ميشيل 26 فيفري 1834م.....	53
6- معاهدة التافنة 30 ماي 1837م.....	57
7- التنظيم الإداري.....	61
8- التنظيم العسكري.....	66
9- مصادر الأسلحة والذخيرة.....	71
المبحث الثاني: عوامل ضعف مقاومة الأمير عبد القادر.....	76
1- سقوط عاصمة الأمير عبد القادر.....	76
2- القبائل المتمردة على الأمير عبد القادر.....	78
3- التفوق العسكري للقوات الفرنسية.....	81
4- سياسة "فرق تسد" الفرنسية اتجاه الشعب الجزائري.....	82
5- سياسة الأرض المحروقة.....	83
6- احتلال مدينتي وجدة و لالة مغنية.....	85
المبحث الثالث: آراء حول مقاومة الأمير عبد القادر.....	88

المطلب الأول: مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل سانت أرنو.....	88
1- التعريف بشخصية سانت أرنو.....	88
2- التعريف بالكتاب ومحتواه Lettres du maréchal de Saint-Arnaud....	88
3- مقاومة الأمير عبد القدر من خلال رسائل سانت أرنو.....	89
4- علاقة الأمير عبد القادر مع القبائل المعادية من خلال رسائل سانت أرنو....	89
5- معاهدة التافنة من خلال رسائل سانت أرنو.....	90
6- السياسة العسكرية الفرنسية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.....	91
المطلب الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر من خلال مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير.....	93
1- التعريف بالكولونيل " سكوت " ورحلته.....	93
2- رحلة الكولونيل سكوت (Colonel Scott)	93
3- وصف نشاط الأمير في إمارته من منظور "سكوت".....	94
الفصل الرابع : عوامل القوة والضعف لمقاومة الحاج أحمد باي	
المبحث الأول : عوامل قوة مقاومة الحاج أحمد باي.....	100
1- الموقع الفلكي و الجغرافي لبايلك قسنطينة".....	100
2- التضاريس.....	101
3- الكثافة السكانية لبايلك قسنطينة.....	103
4- الحملة على عنابة.....	103
5- استنجاد أحمد باي بالباب العالي.....	106
6- التفاف السكان حوله.....	108
7- حملة قسنطينة الأولى 1836م.....	108
8- الحملة قسنطينة الثانية 1837م.....	114
المبحث الثاني : عوامل ضعف مقاومة أحمد باي.....	119
1- رفض أحمد باي إبرام الاتفاقيات مع القوات الفرنسية.....	119
2- تخاذل الباب العالي في دعم المقاومة.....	121

3- موقف باي تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....	123
4- كثرة المؤامرات و الصراعات الداخلية في بايلك الشرق.....	125
5- طبيعة العلاقة بين الحاج احمد باي والأمير عبد القادر.....	129
6- فشل المقاومات الشعبية في وقف زحف الاحتلال في شمال الإقليم.....	131
الخاتمة.....	137
الملاحق.....	142
المصادر والمراجع.....	146

الملخـــــص

تتناول هذه المذكرة للماستر رد فعل المقاومات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي عند توسعه في جميع أنحاء التراب الوطني ، إذ لم تتقدم القوات الفرنسيــة لشبر دون أن تواجهها مقاومة عنيفة من الأهالي. وكانـت أحيانا هذه المقاومات تتزامن مع بعضها البعض. كما حدث مع مقاومتي الأمير عبد القادر غرب الوطن، ومقاومة الحاج أحمد باي شرقها.
في هذا العمل حاولنا إبراز عوامل القوة لكلا المقاومتين، كما تحدثنا على تأثير إحداهما على الأخرى. كما تطرقنا إلى أسباب فشل المقاومتين ودور الجانب الفرنسي في إضعاف هذه الثورات.

كلمـات مفتاحيـــة : المقاومة الشعبية، الأمير عبد القادر، الحاج أحمد، الغرب الجزائري، بايلك الشرق.

Résumé

Ce mémoire de master est consacré à la réaction de la résistance populaire contre l'occupation française a éclaté alors qu'elle s'étendait sur tout le territoire national, Les forces françaises ne s'avancèrent pas d'un pouce sans faire face à une résistance violente de la population. Parfois ces résistances coïncidaient l'une avec l'autre. Comme c'est arrivé avec la résistance de l'Emir Abdelkader à l'ouest algérien et celle d'Ahmed Bey à l'est.

Dans ce travail, nous avons essayé de mettre en évidence les points forts des deux résistances, comme nous avons parlé de l'impact de l'une sur l'autre. Nous avons également évoqué les raisons de l'échec de ces deux résistances et le rôle de la partie française dans l'affaiblissement de ces révolutions.

Mots clés : Résistance populaire, Emir Abdelkader, Hadj Ahmed Bey, L'ouest algérien, Beylek de l'est.

Abstract

This master thesis is devoted to the reaction of popular resistance to French occupation erupted as it spread across the country, and French forces did not advance an inch without encountering violent resistance from the population. Sometimes this resistance coincided with one another. As happened with the resistance of Emir Abdelkader in western Algeria and Ahmed Bey in the east.
In this work, we have tried to highlight the strengths of both resistances, as well as the impact of one on the other. We have also discussed the reasons for the failure of these two resistances and the role of the French side in weakening these revolutions.

Key words: Popular resistance, Emir Abdelkader, Hadj Ahmed Bey, Western Algeria, Eastern Beylek.